المجتمع
مجلة المسلمين في أنحاء العالم
العدد (2201) - السنة (56) رمضان 1446هـ/1 مارس 2025م

النظام العالمي إلى أين ؟

الكويت 750 فلساً ـ السعودية 10 ريالات ـ البحرين دينار بحريني ـ قطر 10 ريالات ـ سلطنة عمان ريال عماني ـ الأردن 1.750 دينار أردني ـ لبنان 4500 ليرة ـ المغرب 23 درهماً

USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

جمعيـــــة التكافل
Altakaful Association
لـرعـايـــــة الـسـجـنـــاء

أهل الديرة متكافلين

2025/2 ت ج د/9ج

تجـوز الزكـاة

أرقام الحسابات البنكية:

بيت التمويل الكويتي 0111400105777 - البنك الوطني 1000314577 - بنك بوبيان 0777619001

24834414 | 94064060 | @Takaful.Association
altkaful.com | info@altkaful.com | @altakaful

CERTIFIED ISO 9001:2015 COMPANY

الأعداد الورقية والإصدارات

قريباً على بوابة المجتمع

موقع
استشارات المجتمع

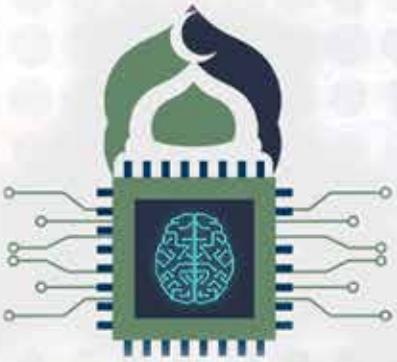

المحتوى الإسلامي
بالذكاء الاصطناعي

موقع أرشيف
مجلة المجتمع

العدد (٢٢٠١) - السنة (٥٦)

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

إسلامية شهرية

تأسست عام ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م
جمعية الإصلاح الاجتماعي. الكويت

رأس مجلس إدارتها
حتى ١٤٢٧/٨/١٠ هـ - ٢٠٠٦/٩/٣ م
عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير:
سالم القحطاني

مدير التحرير:
جمال الشرقاوي

الآراء المنشورة بـ«المجتمع» تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

المراسلات:

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (٤٨٥٠) الصفاة. الرمز البريدي (١٣٠٤٩)

التحرير
٢٢٥١٤١٨٠ - ٢٢٥١٩٥٣٩
٢٢٥١٣٦١٦ (داخلي ٢٠٥).
mujtamaa@gmail.com
info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع
تليفاكس: ٢٢٥٦٠٥٢٣ (٠٠٩٦٥)
sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني
www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح
www.eslah.com

في هذا العدد:

النظام العالمي.. إلى أين؟

"منحة التصوير الإنساني" توثق معاناة غزة وتوصل رسالتها للعالم 6
النظام العالمي الجديد.. رؤية إسلامية 10
الهيمنة على الاقتصاد العالمي واحتمالات تغير خريطة القوى العالمية 12
د.محمد سليم العوا: المؤسسات الدولية انهارت والأمل في مقاومة الشعوب 18
«التهجير الفلسطيني» خطة لتنفيذ «صفقة القرن» المشبوهة 24
د. مازن النجار: من الخطأ محاولة التوصل لحل وسط مع خطة ترمب 26
رئيسة اتحاد المرأة الفلسطينية بالقاهرة: نحن نُرضع أبناءنا حق العودة 28
كاريكاتير 31
رمضان المبارك 1446هجرية.. و«طوفان الأقصى» 32
الفلكي الصغير.. يرصد هلال رمضان (باب الطفل المسلم) 64

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام).

وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

سورة البقرة

رأي المجتمع

رمضان أقبل بفيوضاته الربانية

أهلَّ علينا شهر رمضان المبارك.. شهر الصيام والقرآن، وشهر الجهاد والانتصارات والفتوحات.. شهر تصفَّد فيه الشياطين، وتُفتح فيه أبواب الجنة، وتُغلق أبواب النار، ويُقبل فيه عباد الله على فعل الخيرات، والإكثار من الطاعات، وتمتلئ فيه بيوت الله بالركع السجود..

يأتي علينا رمضان هذا العام، وقد من الله على المقاومة في غزة بالنصر، على أعتى القوى في العالم، فقد كانت تواجه حرب إبادة عالمية شارك فيها معظم دول العالم وعلى رأسهم أمريكا، ضد ثلة من المجاهدين، قليلي العدد والعتاد، بما يمثل معجزة إلهية بكل معنى الكلمة.

وأيام وليالي هذا الشهر الكريم تنقضي سريعاً، والكيِّس من اغتنم كل لحظة فيها، ليجدد فيها العهد مع الله سبحانه وتعالى، ويتوب توبة صادقة، ويُكثر من الطاعات والعبادات، ويصل الأرحام، ويبتعد عن الشحناء والبغضاء، وينقِّي سريرته من كل ما يُغضب الله سبحانه وتعالى.

وللأسف الشديد، فقد ابتُليت كثير من بلادنا الإسلامية بمن يتربصون بمقدم هذا الشهر الكريم بدراما إعلامية فاسدة، تشوِّه جلال هذا الشهر الفضيل، وتحاول أن تُفسد على الصائمين صومهم.. بمواد إعلامية خارجة عن القيم والأخلاق، بمزاعم كاذبة عن التسلية والترويح عن الصائمين، وإن الحكومات المعنية مسؤولة أمام الله سبحانه وتعالى عن تلك المهازل الإعلامية، ومطالبة بتنظيف إعلامها من تلك المخازي التي تجلب غضب الله سبحانه في شهر الرحمة والمغفرة.

إن رمضان يُقبل هذا العام، والعديد من شعوب الأمة الإسلامية تعاني، الدمار والحاجة إلى مد يد العون والمساعدة في البناء من جديد كما في غزة، وسورية، أو تعاني من الفقر والحاجة، كما في كثير من الدول الإسلامية، وإن المسلم مطالب في شهر الخير أن يُكثر من الخيرات، بمد يد العون والمساعدة والنصرة لإخوة الدين والعقيدة، وأن يتذكرهم بالدعاء إلى الله في صلاته وقيامه وعند إفطاره، أن يرفع عنهم البلاء والاحتلال، ويمنَّ عليهم بالنصر والحرية.

وإن المسلم مطالب في كل أمره وعلى مدار العام، بعدم التخلف عن نصرة إخوانه الرازحين تحت نير الاحتلال، أو المحتاجين لنصرته ومساعدته.

إن رمضان بنسماته الإيمانية، وفيوضاته الربانية، يؤلف القلوب، ويوحِّد الصفوف، وهو بذلك يعد مناسبة سنوية لوحدة الأمة، وحدة إيمانية ربانية.. صياماً وقياماً وتواصلاً وتراحماً وتلك من نعم الله الكبرى على الأمة الإسلامية ودعوة لها حكاماً ومحكومين أن يكونوا دائماً صفاً واحداً وعلى قلب رجل واحد، فذلك هو الطريق نحو القوة والعزة والنصر على كل مؤامرات ومكائد أعداء الله، ومواجهة تحديات النظام العالمي الجديد الذي يلوح في الأفق.

نسأل الله سبحانه وتعالى، أن يتقبل من الأمة صيامها وقيامها، وأن ينزل عليها بركاته ورحماته، وأن يمنَّ عليها بالنصر والتمكين حتى يسود كتابه ويحكم شرعه، إنه سميع مجيب. ■

وكلاء التوزيع

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت : ٢٢٢٧٢٧٣٣ ف: ٢٢٢٧٢٧٣٦
distribution@alanba.com.kw

الشركة السعودية للتوزيع
Saudi Distribution Co.

السعودية: الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض
٠٠٩٦٦١٢١٢٨٠٠٠
فرع الرياض: ٠٠٩٦٦١٢٧٠٥٨٣٧
فرع جدة: ٠٠٩٦٦٢٦٥٣٠٩٠٩
فرع الدمام: ٠٠٩٦٦٣٨٤٧٣٥٦٩
قطر :
دار الثقافة ت: ٤٦٢٢١٨٢ / ف: ٤٦٢١٨٠٠
البحرين :
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت: ٧٢٥١١١ / ف: ٧٢٣٧٦٣
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM

الإعلانات

امتياز الإعلان : مجلة المجتمع
ت: ٢٢٥٦٠٥٢٥ - ٢٢٥٦٠٥٢٦ الكويت.

«منحة التصوير الإنساني» توثق معاناة غـــزة وتوصـــل رسالتهـــا للعالـــم

كتب ـ المحرر المحلي:

حين يعجز الحرف عن نقل الحقيقة، تتحدث العدسة بصوت لا يكذب، وتصبح الصورة أبلغ من ألف كلمة، في عالم يموج بالأحداث والصراعات، تتوارى قصص المعاناة خلف عناوين الأخبار، لكن هناك من يصرّ على أن تكون هذه القصص مرئية، محسوسة، بلغة يفهمها الجميع: لغة الصورة.

من هنا، وُلِدت "منحة التصوير الإنساني"، كمشروع ريادي يمنح المصورين في المناطق المنكوبة فرصة ليكونوا شهودًا على التاريخ، وحراسًا لذاكرة الشعوب، انطلقت النسخة الأولى من المنحة من قلب غزة، حيث الألم والصمود يتعانقان، ومن بين الركام خرجت عشر عدسات فلسطينية، لتنقل للعالم قصصًا لم تُحكَ، وصورًا تنبض بالحقيقة، شاهدةً على واحدة من أشد المآسي الإنسانية في العصر الحديث.

الرميان: في غزة التصوير ليس مجرد فن بل فعل مقاومة في وجه التعتيم

لم تتوقف المنحة عند دعم المصورين فحسب، بل حملت رسالتهم إلى العالم من خلال سلسلة معارض بدأت في واشنطن، ثم انتقلت إلى الشارقة، حيث لاقت الصور صدىً واسعًا في الأوساط الثقافية والإنسانية. وجاءت هذه المعارض كنافذة حقيقية تُطل منها غزة على العالم، بكاميرات أبنائها، لا بعدسات الغريب.

في هذا السياق، قال سامي الرميان، رئيس المنحة: "في غزة، التصوير ليس مجرد فن، بل فعل مقاومة في وجه التعتيم. لقد عملنا على تمكين المصورين هناك ليكونوا مرآة صادقة لما يجري، وليصل صوتهم إلى العالم عبر أعمال تحمل عمق المعاناة ووهج الصمود".

وأضاف: "نؤمن أن الصورة تحمل رسالة قوية قادرة على إحداث تأثير واسع، لذا نسعى من خلال هذه المنحة إلى تمكين المصورين من إيصال أصوات من لا صوت لهم، وتعزيز ثقافة التوثيق البصري للمآسي الإنسانية".

قصص غزة غير المروية:

افتتحت منحة التصوير الإنساني معرضها الفوتوغرافي في الأول في الولايات المتحدة الأمريكية تحت عنوان "من خلال عدستهم: قصص غزة غير المروية"، حيث يجسد هذا المعرض الواقع

العتيبي: نأمل أن تشكل هذه المنحة نقطة تحول في مسيرة التصوير الإنساني

الإنساني الأليم الذي تعيشه غزة، من خلال أعمال نخبة من المصورين الفلسطينيين الذين استخدموا عدساتهم لنقل الحقيقة وتوثيق تفاصيل المعاناة والصمود في واحدة من أشد الإبادات الجماعية عنفًا في العصر الحديث.

ضم المعرض صورًا توثيقية قوية التقطها مصورون محليون في غزة، حيث تروي كل صورة قصةً منفصلة، تحمل في طياتها معاناة العائلات، صمود الأطفال، تضحيات النساء، وأحلام الشباب التي لا تذبل رغم الدمار، وتكشف هذه الصور عن الوجه الإنساني للحرب، والذي غالبًا ما يتوارى خلف العناوين السياسية.

الشارقة تحتضن "عدسات تنبض بالإنسانية": كانت مشـــاركة المنحـــة في

مهرجان "إكسبوجر ٢٠٢٥" في الشارقة بمثابة تتويج لرحلتها، حيث شكل المعرض نافذةً حقيقيةً تُطل منها غزة على العالم، بعدسات أبنائها، لا بعدسات الغريب، الصور المعروضة لم تكن مجرد لقطات فوتوغرافية، بل كانت وثائق إنسانية ناطقة، تسرد تفاصيل الحياة والموت، وتروي قصص الأمل رغم الألم.

من جانبه، قال سعد العتيبي، رئيس مجلس أمناء الجائزة: "هذا المعرض ليس مجرد مجموعة صور، بل هو شهادة حية، ونبض من أرض تتحدى الموت يوميًا، نحن لا نقدم للمصورين فرصةً مهنية فقط، بل نمنحهم صوتًا عالميًا يعبر حدود الصمت".

وأشار إلى أن: "الهدف هو إعطاء المصورين في غزة فرصةً حقيقية ليكونوا صناع روايتهم الخاصة، لينقلوا المشهد بأعين من عاشوه، لا بعيون الراصدين من بعيد".

وأشار إلى أن مجلس الأمناء سيعمل على ضمان توفير بيئة داعمة للمصورين المشاركين في المنحة وغيرها من المنح مع الحرص على توجيه أعمالهم نحو القضايا ذات التأثير الأعمق، وتحفيزهم على إنتاج محتوى بصري مؤثر يسهم في إحداث تغيير إيجابي.

وختم العتيبي حديثه قائلاً: "نأمل أن تشكل هذه المنحة نقطة تحول في مسيرة التصوير الإنساني، وأن تساهم في إبراز قصص إنسانية ملهمة تعكس صمود الأفراد والمجتمعات في وجه التحديات".

التمكين عبر الفن.. دور الشراكات الإنسانية:

جاءت هذه المنحة بتمكين من جهات إنسانية آمنت بضرورة دعم المصورين في ظل الظروف القاسية، ومنها "نماء الخيرية" و"الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية" بالكويت، و"كاف الإنسانية" بالبحرين.

في هذا الإطار، شدد العتيبي على أهمية التعاون مع الجهات الداعمة.

التصوير الإنساني.. شهادة بصرية على التاريخ:

المصورون الذين شاركوا في هذه المنحة لم يكونوا مجرد محترفين يبحثون عن لقطات جميلة، بل كانوا شهودًا على الألم والأمل، ورواةً لقصص لا تنقلها الكلمات.

حسين الموسوي، رئيس تحرير مجلة ناشيونال جيوغرافيك العربية، قال عن أهمية هذا المعرض: "ما يقدمه هذا المعرض يتجاوز حدود الفن، ليصبح توثيقًا للتاريخ الإنساني الحي، نحن لا ننظر إلى هذه الصور كأعمال إبداعية فحسب، بل كوثائق بصرية تحمل رسائل للأجيال القادمة، تسلط الضوء على تفاصيل قد تُنسى، لكنها تبقى محفورةً في ذاكرة العدسة والإنسان".

رحلة لم تنتهِ بعد:

هذا المعرض هو الأول في سلسلة معارض حول العالم، ستواصل فيها منحة التصوير الإنساني نقل صوت غزة، لتروي للعالم قصة الأرض التي تنزف صمودًا، والسماء التي تمطر صرخات الأمل، وكما أكد الرميان: "رحلتنا بدأت، ورسالتنا مستمرة. هذه ليست مجرد صور، بل نداءٌ للإنسانية كي تستفيق".■

وداعاً لرمز وطني بارز.. العم يوسف محمد النصف

كتب – المحرر المحلي:

في لحظات تختلط فيها مشاعر الحزن بالفخر، ودّعت الكويت، في ١١ فبراير ٢٠٢٥م، أحد رجالاتها الأوفياء، الذين سطروا بأعمالهم ومواقفهم صفحات مشرقة في تاريخ الوطن، فقد رحل العم يوسف محمد النصف، تاركاً خلفه إرثاً من العطاء والإخلاص للوطن، ومسيرة حافلة بالمواقف المشرفة في مجالات السياسة والاقتصاد والعمل الاجتماعي.

لقد كان الفقيد نموذجاً للرجل الوطني الذي حمل هموم الكويت وساهم في نهضتها، مجسداً أسمى معاني النزاهة والحكمة والشجاعة.

مسيرة حافلة بالعطاء:

وُلد العم يوسف النصف عام ١٩٣٤م، ونشأ في بيئة تجارية عريقة، حيث تنتمي عائلته إلى إحدى الأسر الكويتية التي أسهمت في نهضة البلاد اقتصادياً وسياسياً، حيث تلقى تعليمه الأساسي في مدرسة الأحمدية، ثم في المدرسة الشرقية، قبل أن ينطلق في مسيرة حافلة بالإنجازات.

ساهم النصف في تأسيس العديد من المؤسسات الوطنية، وكان أحد مؤسسي «جمعية الإرشاد الإسلامي» عام ١٩٥٢م، التي مثّلت إحدى البدايات الأولى للعمل الخيري المنظم في الكويت، كما كان له دور بارز في تأسيس «جمعية الإصلاح الاجتماعي» التي استمرت في تقديم خدماتها الخيرية والإنسانية على المستوى المحلي والدولي.

تجربة قصيرة في العمل الوزاري:

تولى الراحل منصب وزير الشؤون الاجتماعية والعمل عام ١٩٨٥م، لكن فترته الوزارية لم تتجاوز ١١ يوماً، إذ استقال سريعاً بسبب قناعاته الإصلاحية التي لم تتماشَ مع النهج الحكومي آنذاك، ورغم قصر مدة توليه الوزارة، فإن استقالته شكّلت حدثاً سياسياً مهماً، وعكست تمسكه بمبادئه.

دوره في الإصلاح السياسي والاقتصادي:

عُرف النصف بمواقفه الإصلاحية ورؤيته الاقتصادية الواضحة، حيث كان رافضاً لمركزية القرار الإداري، وداعماً لتطوير منظومة العمل السياسي والاقتصادي في الكويت، وقد أدى دوراً مهماً في الأزمات السياسية، وتقريب وجهات النظر بين الأطراف المتنازعة، ودعم الاستقرار السياسي في البلاد.

بصماته في العمل الصحفي:

كان الفقيد أحد المساهمين في تأسيس صحيفة «القبس» عام ١٩٧٢م، وتقلّد منصب رئيس مجلس إدارتها بين عامي ٢٠١٩ و٢٠٢٣م، حيث شهدت الصحيفة خلال فترة رئاسته نقلة رقمية نوعية، عززت من مكانتها الإعلامية على المستوى المحلي والإقليمي.

مواقف وطنية مشرفة:

لم يقتصر دور النصف على المجال السياسي والاقتصادي، بل كانت له إسهامات اجتماعية بارزة، حيث كان مرجعاً يُلجأ إليه في الأزمات، وله العديد من المبادرات الخيرية التي امتدت داخل الكويت وخارجها، وعُرف بوطنيته العميقة، ونزاهته المشهودة، وكان من رجال الدولة الذين حملوا همّ الوطن بإخلاص وتجرد.

إشادة وتقدير:

وقد أشاد العديد من الشخصيات الوطنية بجهود الفقيد، حيث نعاه رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي د. خالد المذكور، مستذكراً دوره الفاعل في العمل الخيري، كما عبّر رئيس مجلس الأمة الأسبق مرزوق الغانم عن خالص تعازيه، مؤكداً أن الراحل كان نموذجاً للوطني المخلص، كما أشار النائب السابق أسامة الشاهين إلى دوره الريادي في تأسيس الجمعيات الهادفة، ومساهماته الوطنية التي يذكرها التاريخ.

رحل العم يوسف النصف، لكنه ترك إرثاً خالداً من العطاء والمواقف المشرفة، سيظل محفوراً في ذاكرة الكويت وأبنائها، فقد كان نموذجاً للإنسان المخلص لوطنه، الذي لم يسعَ إلى منصب أو جاه، بل كان همه الأول خدمة الكويت وأهلها، نسأل الله أن يتغمده بواسع رحمته، ويجزيه خير الجزاء على ما قدم، وأن يلهم أهله وذويه الصبر والسلوان.■

دعوة للإنجاز في وقت الأزمات (3)

نماذج نجحت في التصدي للأزمات

د. زهير منصور المزيدي

مدير عام الشبكة الدولية للقيم

لقد أدرك العالم ما للأزمات من عوائد إيجابية في الارتقاء بالأداء الإنساني، فنجد في بروكسل مقراً لـ«مجموعة الأزمات الدولية»؛ وهو ما يعتبر كياناً قانونياً وله فروع في كل من واشنطن وموسكو ولندن، وعمليات تنسيق مع بكين إلى جانب محللين في أكثر من ٦٠ دولة تواجهها أزمات، ومما تعتبره بحكم الأزمات قضايا الطاقة، والتغير المناخي وفيروس نقص المناعة (الإيدز).

ما يلي نستعرض نماذج مختلفة، كي ننتقل بعد ذلك لما خصصنا له فصلاً حيال آلية العامل مع الأزمة للخروج بمنتج أو مشروع نهضوي أو تنموي.

١- تمويل المشروعات الصغيرة الذي بدأ من بنغلادش في عام ١٩٨٠م.

٢- مشروب «GATORADE» الذي تم تطويره عن شراب دوائي للقضاء على مرض الكوليرا في الدول الفقيرة عام ١٩٦٠م.

٣- إتمام العمليات البنكية عبر شبكات الهواتف الجوالة ضمن مقطورة بدلاً من فتح فرع للبنك، وهو ما تم في كينيا ثم انتشر على نطاق عالمي.

٤- عمليات الجراحة المخفضة التكاليف لتصل قيمة عملية العين الواحدة جراحياً ٣٠ دولاراً، وعمليات القلب ٢٠٠٠ دولار في الهند.

٥- غزة؛ الحصار الاقتصادي، وتطوير الأسلحة بما هدد «القبة الحديدية» للعدو.

٦- منتجات الأقمشة من نبات الأناناس؛ حيث دأبت بعض دول جنوب شرق آسيا في صناعة الملابس والأحذية من مواد غير تقليدية كالتي عهدناها دولياً، للخروج من أزمة صناعات فرضتها مواد تقليدية، مثل: منتجات الأحذية من نبات الفلين والذرة، منتجات الأقمشة من نبات الملفوف!

إذاً، نحن أمام إنجاز غير مسبوق حين عمدنا لعناصر مستحدثة عوضاً عن الأساليب التقليدية في إنتاج الألبسة؛ ما يعني أن ذات المجتمع لو التزم بالنمط التقليدي في التفكير لأضحى يشعر بالأزمة، غير أن جسارته في اعتماد عناصر أخرى جعلته في الصدارة فيما أنجزه.

وثمة صور عدة تبين ما للأزمات من عوائد إيجابية، مثل:

١- ثورة الملح.. وغاندي:

الظرف: احتلال بريطاني للهند.

المشروع: مقاومة من دون سلاح؛ عبر تجفيف مياه البحر لاستخراج الملح الذي كان من المحرم إنتاجه من قبل الهنود.

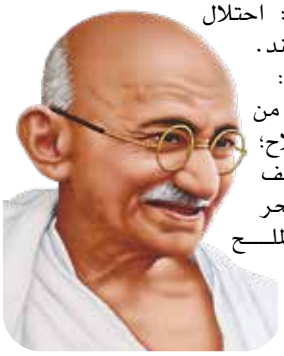

٢- ألمانيا.. أديداس:

عبر مخلفات الجلود من أحذية وحقائب جلدية إبان الحرب العالمية الثانية، فـ«أديداس» شركة ملابس رياضية مقرها ألمانيا، تم تنظيم الألعاب الأولمبية في مدينة ميونيخ الألمانية في صيف ١٩٣٦م، وقرر «أدولف» أن يقوم بإنتاج الأحذية الرياضية ذات المسامير في أسفلها من أجل الرياضيين المتنافسين كطريقة للترويج لمنتوجه.

فعندما كان في سن المراهقة، كانت ألمانيا تعيش مرحلة الانحسار الاقتصادي بعد الحرب العالمية الأولى، فقد نشأ «أدولف» في تلك الحقبة بألمانيا ولم ينهزم أمام الظروف الصعبة المحيطة به، فقد ساعد أسرته في صناعة «الشباشب» من مخلفات الحقائب التي خلفها الجيش في تلك الحرب.

كان يعشق الرياضة، وبالأخص كرة القدم، فبدأ في عام ١٩٢٠م بصناعة الأحذية الرياضية، واتصل بمجموعة من الأطباء والمدربين الرياضيين بهدف تطوير أحذية ملائمة للرياضيين، واستطاع أن يطور مجموعة من الأحذية بناء على نوع الرياضة، فهناك أحذية للتنس، وثمة أحذية لكرة القدم، وأخرى لرياضة المشي، وقد لبست أحذية «أديداس» في الألعاب الأولمبية عام ١٩٢٨م.

خاض «أدولف» الريادة في تطوير الأحذية الرياضية، وحرص على أن يتم صناعتها من المواد المناسبة والمطورة لهذا الهدف، فقد كان يخضع الحذاء والمواد المصنعة منه لآلاف الاختبارات كي يتحقق من الفائدة المرجوة وبالشكل الذي يتطلع له، وجرب مواد عديدة بما فيها جلود سمك القرش، وجلد حيوان الكنغر، وانتهت تجاربه باختراع الأحذية «النايلونية».

٣- هنري نستله:

ولد هنري نستله في سويسرا عام ١٨١٤م، ودرس الكيمياء وتمرس علم الصيدلة من خلال الخبرة والعمل، حيث لم يكن أبداً يتخيل نفسه بأنه سيكون في يوم من الأيام رجلاً سيغير العالم!

عندما أصبح عُمْر نستله ٢٩ عاماً، قام بجمع المال واشترى مصنعه الأول المتواضع ليصنع زيت الجوز والبندق، وكان متأثراً جداً بموت الأطفال الرضع في تلك الفترة بسبب عدم تقبلهم حليب أمهاتهم ورفضهم للرضاعة الطبيعية، حيث حاول كثيراً لاختراع حليب آخر يحل محل حليب الأمهات، وذلك من خلال تجفيف حليب البقر وخلطه مع بعض المكملات الغذائية، وفعلاً نجح في عام ١٨٦٧م.

لكن الناس كانوا يعارضون فكرته وقتها، واستطاع اختراع نستله أن يُنقذ طفلاً وُلد قبل أوانه، وحالته ميؤوس منها، حسب رأي الأطباء، وبعدها حقق هذا الاكتشاف إقبالاً غير متوقع، حتى إن المصنع لم يستطع أن يلبي في تلك الفترة جميع الطلبات، وفعلاً فقد أصبحت أول شركة تبيع الغذاء للأطفال، وأول شركة تبيع الحليب المركز في أوروبا وأول شركة تصنع حليباً بالشوكولا، وأول شركة تبيع القهوة المجففة (نسكافيه)، وأول شركة تبيع القهوة المثلجة.. وغيرها الكثير.

٤- كوريا.. وبناء المدارس من القناني البلاستيكية:

لم يكن من السهل تدشين المدارس ذات الكلف العالية في القرى الكورية؛ ما جعل مجتمعاتهم الفقيرة تعمد لعملية تدوير نفايات قناني البلاستيك لتدشين أبنية لمرافقهم التعليمية.■

النظام العالمي الجديد.. رؤية إسلامية

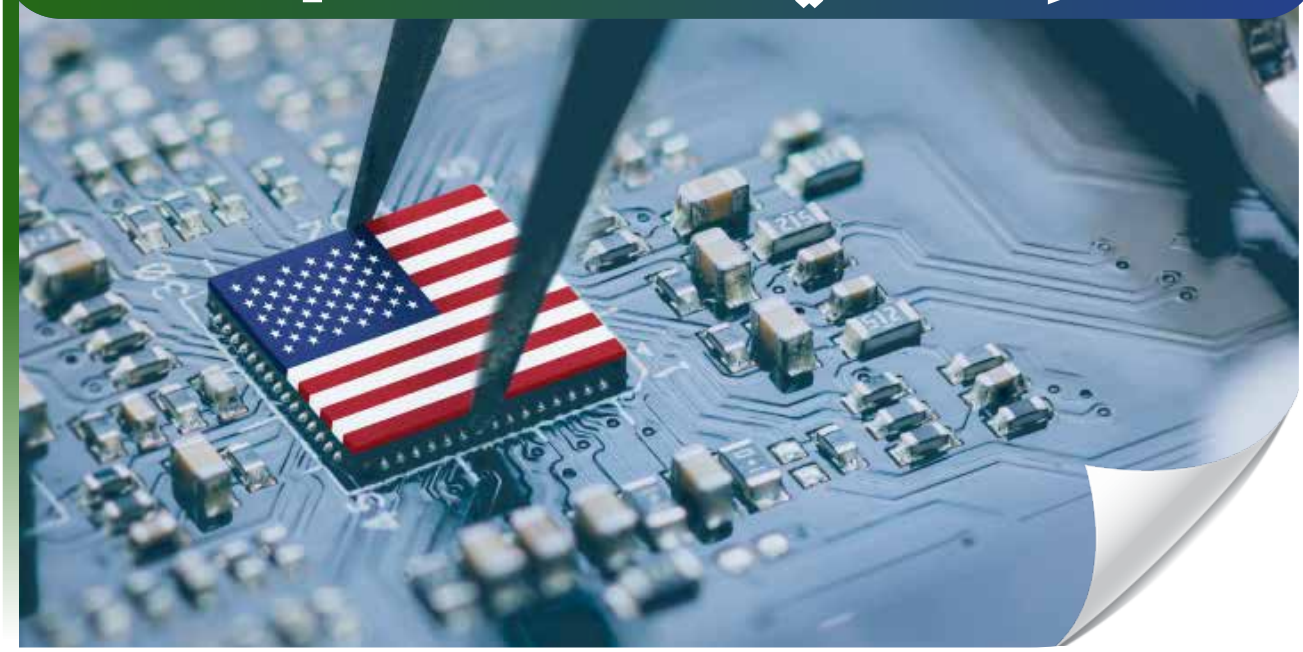

هل سيبقى النظام العالميُّ على حاله هذا؟ وهل ستبقى الهيمنة الأمريكية جاثمة على صدور الخلائق؟ هذا ما تسعى إليه أمريكا جاهدة ومتجاوزة في جهادها وجلادها كلّ حدود المعقول واللامعقول، وهذا ما تحرص عليه الإدارة الأمريكية مهما تداولتها الأحزاب من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، وإنْ اختلفت الأساليب، لكنْ من المؤكد أنّ التجديف ضدّ التيار الجارف عبث ومعاندة للسنن لا جدوى منها؛ فالكلّ يتحدث اليوم عن عالم تغْرُب فيه شمسُ الهيمنة الأمريكية، وتتعدد فيه الأقطاب، ولا يقف الأمر عند التنبؤات والتحليلات، وإنما يتجاوزه إلى التدافع واشتداد التنازع على مقدرات الأرض ومقررات الخلق، ومَنْ ألقى نظرة سريعة على سلوك الصين وروسيا وكثير من بلدان العالم أيقَنَ بالحقيقة.

د. عطية عدلان
أستاذ الفقه والسياسة الشرعية

على الرغم من خُبث التنين الصيني، ولؤم الدبّ الروسيّ، ودناءة وانحطاط المخروط الهندوسيّ، فإنّنا نستبشر بأمر آخر لا علاقة له بهويات القوى المتصارعة، وهو أنّ تَعَدُّد الأقطاب، وتجاذبها وتنافرها، ودورانها بين الكرّ والفرّ؛ يعطي هامشاً للمستضعفين ليجدوا موضعاً لأقدامهم على أرض طبيعتها الصراع الدائم، ولعلّ هذا بعض ما تتمخض عنه سُنة التدافع من آثار تقي الأرض عموم الفساد، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ (البقرة: ٢٥١)، ولعل هذه السُّنة (التدافع) مقدمة لإمضاء سُنة أخرى قريبة منها، لكنّها خاصة بهذه الأمة، وهي سُنة «الدفع» قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً﴾ (الحج: ٤٠)، وعلى هذا تكون كلمة «الناس» هنا من قبيل العام الذي أريد به الخصوص -بخلاف الآية الأولى- أي: «لولا دفعُ اللّه الناسَ الكافرين بالناس المؤمنين».

وبمقتضى سُنّة التداول ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ (الأحزاب: ٦٢)، فإنّ تَمَحْوُرَ الوجودِ البشريّ بعد الحرب الباردة حول قطب واحد كان أمراً استثنائياً مؤقتاً؛ ما كان له أن يدوم ولا أن يطول، وقد أَلْمَحَ ابن خلدون إلى القاعدة المطّردة وفق هذه السُّنة، حيث قرر أنّ «الدول لها أعمار طبيعية كالأشخاص»، وذلك قبل أن يستطرد في بيان الأطوار التي تمرّ بها؛ لتنتهي إلى الطور الخامس، طور «الإسراف والتبذير»، وهو عين ما ينغمس فيه المجتمع الأمريكيّ الآن، حتى صار سلوكاً استهلاكياً يصعب، بحسب نيال فيرجسون، تغييره ولو على المدى البعيد، وإنّ الغرب ليس استثناء من الأمم التي جرى عليها القانون الذي لا

عرش أمريكا اعتلاه مؤخراً من سيجرّها بسرعة النجم إذا هوى إلى الهاوية المحتومة!

يحابي ولا يجامل، إنّه كسائر الحضارات أو المدنيات التي وُلِدتْ ثم شبّت ثم أصابها الهرم وأكلتها الشيخوخة، وإنّ سُنة الله لا تتغير ولا تتبدل، والأيام دول: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾(آل عمران: ١٤٠).

نهاية القطب الواحد

وقد تنبأ الكثيرون منذ مدّة طويلة بقرب انتهاء نظام القطب الواحد المهيمن، ففي البداية جاءت نظرة صمويل هنتنجتون في كتابه «صدام الحضارات» على نحو تأسيسيّ، ولكنّه قائم على دراسات إحصائية استقرائية، ذهب فيها إلى تتبع سير الأمم وعلاقة ذلك بهوياتها الثقافية؛ ليقول لنا: « الاستعمار الأوروبي انتهى، الهيمنة الأمريكية تنحسر، وذلك يتبعه تآكل في الحضارة الغربية، حيث تهب الأعراف العميقة الجذور واللغات والمعتقدات والمؤسسات الأصلية لتؤكد نفسها، القوة المتنامية للمجتمعات غير الغربية الناتجة عن التحديث تؤدي إلى إحياء الثقافات غير الغربية في أنحاء العالم».

وعلى أثر هنتجتون يأتي فريد زكريّا، الكاتب والمفكر الأمريكي الشهير، في كتابه الذائع الصيت «عالم ما بعد أمريكا»؛ ليفصح أكثر، فيقول: «لقد أشار وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية جيمس بيكر في عام ١٩٩١م إلى أنّ العالم كان يتجه نحو الدخول في نظام مركزيّ، تمر فيه كل الدول عبر الولايات المتحدة الأمريكية؛ من أجل الوصول إلى وجهتها المقصودة، ولكنْ ثمة وصف أفضل للقرن الحادي والعشرين، وهو أنه عالم ذو مسالك متعددة، ترسم خطط الرحلات فيه كل يوم.. إنّ العالم يتجه من الغضب إلى اللامبالاة، من العداء لأمريكا إلى ما بعد أمريكا».

وعندما نحاول المقارنة بين قول توماس جفرسون، أحد الآباء المؤسسين بعد كتابته للدستور الأمريكي: «على أوروبا القديمة أن تتكئَ على أكتافنا، وتسيرَ في ركابنا بقدر ما تستطيع، مقيدةً بآسار الملوك والرهبان؛ أيّ مارد جبّارٍ سَنَكُون!»، وقول أندري جروف، مؤسس شركة «إنتل»، مؤخراً: «تواجه أمريكا خطر السير على خطى أوروبا باتجاه الانهيار، وأسوأ ما في الأمر أن لا أحد يعلم بذلك، إنّهم جميعاً يعيشون حالة من الإنكار، يُرَبِّتُ بعضهم على ظهور بعض، بينما تتجه «التايتانيك» نحو جبل الجليد بأقصى سرعتها»، وكذلك ما أوردته «الإيكونوميست» عن نيال فيرجسون، في مقال له: «قد يكون الوقت قد حان لمواجهة حقيقة أنه نادراً ما تكون نهاية الإمبراطورية عملية غير مؤلمة».

عندما نقارن بين الماضي والحاضر من التصريحات، لا نملك إلا التسليم للآية: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٢١).

جبل الجليد بأقصى سرعتها»، وكذلك ما أوردته «الإيكونوميست» عن نيال فيرجسون، في مقال له: «قد يكون الوقت قد حان لمواجهة حقيقة أنه نادراً ما تكون نهاية الإمبراطورية عملية غير مؤلمة».

عندما نقارن بين الماضي والحاضر من التصريحات، لا نملك إلا التسليم للآية: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٢١).

فإذا كانت الأحداث قد صدّقت هذه المقولات؛ فإنّ عرش أمريكا قد اعتلاه مؤخراً من سيجرّ أمريكا بسرعة النجم إذا هوى إلى الهاوية المحتومة، ولم تمض أسابيع على بدء ولايته الثانية حتى تعالت الصرخات في الصحف الكبرى، فهذا ماكس ستير يقول: «إن ترامب يدمر كل ما يقف في طريق ما يريد

أخطر ما تواجهه أمريكا الاستقطاب العنيف المرتكز على خلافات ثقافية عميقة

نحن المسلمين قادرون على أن نخرج من النفق المظلم لنجدَ لنا موضع قدم إذا شئنا وسعينا

القيام به، يشمل ذلك أن أصبح الولاء هو المعيار الأساسيّ لاختيار ملازميه المباشرين، ويتضمن سحق الخدمة المدنية وتحويلها إلى أداة لأجندته الخاصة، بدلاً من كونها قوة من أجل الصالح العام وسيادة القانون».

لعلّ أخطر ما تواجهه أمريكا هو الاستقطاب العنيف المرتكز على خلافات ثقافية عميقة، إلى هذا البعد الخطير أشار أحد المحترفين لاستطلاع الرأي العام وليام ماك إنترف، في تصريح لـ«واشنطن بوست» قائلاً: «عندنا قوتان ضخمتان تصطدمان؛ واحدة ريفية مسيحية محافظة دينياً، والأخرى علمانية تعيش في نيو إنجلاند وعلى شاطئ المحيط الهادئ»، وقريب من هذا قول باتريك بوكنان: «إنّنا بَلَدَان وشَعْبَان؛ أمريكا قديمة تموت، وأمريكا جديدة تنال ما تستحق»، حتى فوكوياما الذي ظلّ في كتابه «نهاية التاريخ» يجدف ضد التيار عاد ليغرد داخل السرب ويقول: «فالمجتمع الأمريكي يسوده استقطاب حاد.. تَحَوَّلَ منذ ذلك الحين إلى صراع مرير حَوْل الهوية الثقافية».

وهناك أسباب للانهيار لا تقلّ كفاءة عن الاستقطاب، ففي كتاب «الصنم.. صعود وسقوط الإمبراطورية الأمريكية»: «الاستهلاك اعتماداً على الاقتراض، الإحجام عن الذهاب إلى جبهات القتال، النزعة لفقد الاهتمام بالمهمات؛ إذا كانت كل هذه السمات تستحضر صورة أمريكا في الذهن كمتمرد كسول مغرم بالجلوس وعدم مغادرة البيت، أو بتعبير أكثر فظاظة: مدمن إستراتيجي للجلوس ومشاهدة التلفزيون؛ فإنّ الصورة تستحق التفكير والتأمل.. ويبدو أنّ عبء الرجل الأبيض محمول على كرشه»!

كلّ ما مضى يجب أن يكون مقدمة للقول: إننا -نحن المسلمين- قادرون على أن نخرج من هذا النفق المظلم؛ لنجدَ لنا في هذا المزدحم موضع قدم، وذلك إذا شئنا، فإن سعينا إلى هذه الغاية؛ فإنّ الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وإن أبينا -لا سمح الله- فلتنتظر أمتُنا دورة حضارية أخرى. ■

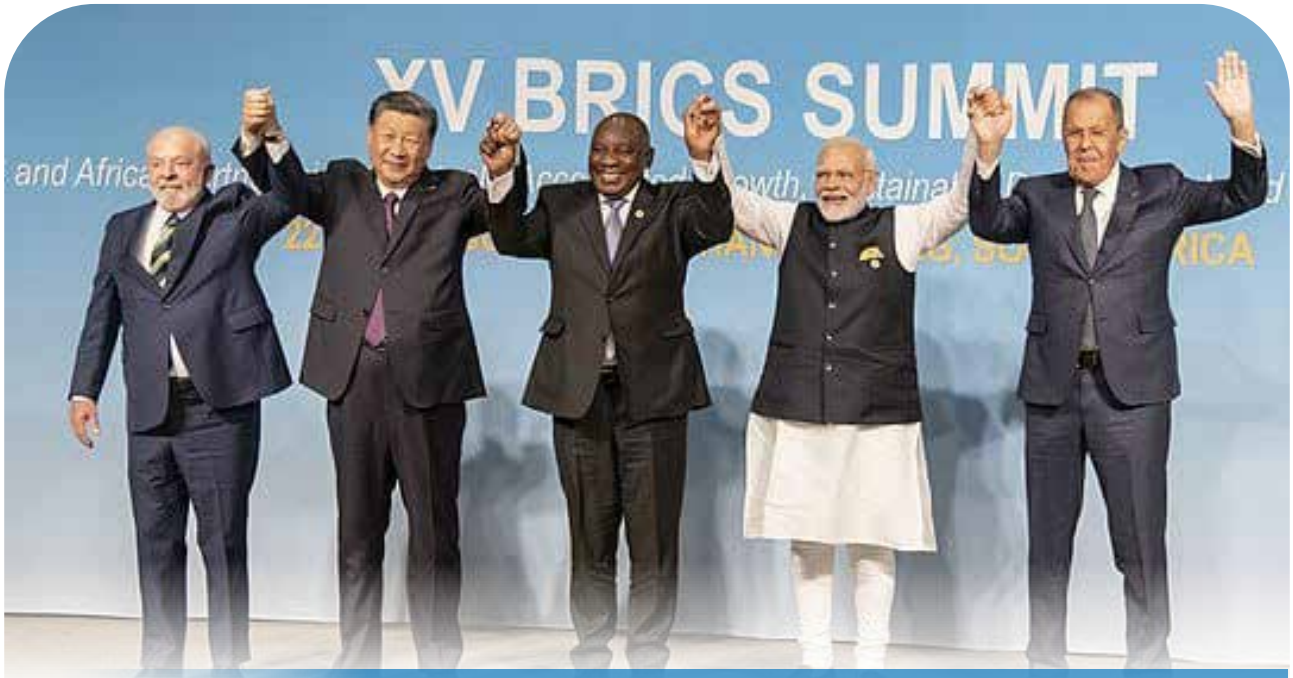

الهيمنة على الاقتصاد العالمي واحتمالات تغير خريطة القوى العالمية

عبدالحافظ الصاوي
محلل وخبير اقتصادي

اتسم القرن العشرين بسيطرة الغرب وأمريكا على المقدرات الاقتصادية للعالم، وبخاصة أن أكثر من النصف الأول من القرن العشرين، شهد تغلغل ظاهرة الاستعمار الغربي للعديد من الدول النامية، وما زالت جريمة نهب ثروات الدول النامية من قبل الغرب تحتاج إلى تعويضات مستحقة.

وفي مطلع التسعينيات من القرن العشرين، برز النظام العالمي أحادي القطبية، الذي مثلت فيه السيطرة الاقتصادية ملمحاً مهماً، عبر منظومة العولمة، واعتمد نظام العولمة بقيادة أمريكا على عدة مقومات، أولها التفرد التكنولوجي لأمريكا والغرب، والتراكم الرأسمالي عبر امتلاك وتحقيق أكبر ناتج محلي عالمي، وكذلك السيطرة على أداء المؤسسات المالية العالمية، بعد أن تم إنشاء منظمة التجارة العالمية، بجانب البنك والصندوق الدوليين.

وتمتلك أمريكا ناتجاً محلياً إجمالياً هو الأعلى بين دول العالم، فقد بلغ ٢٧,٧ تريليون دولار بنهاية عام ٢٠٢٣م، ويأتي تكتل الاتحاد الأوروبي بعدها بنحو ١٨,٥ تريليون دولار، بينما تأتي الصين في المرتبة الثالثة بنحو ١٧,٧ تريليون دولار.

أما بالنسبة للتجارة السلعية، فيأتي الاتحاد الأوروبي في المقدمة بقيمة ١٤,٢ تريليون دولار، ثم الصين في المرتبة الثانية ٥,٨ تريليونات دولار، ثم أمريكا بـ٥,١ تريليونات دولار، وكثيراً ما ينظر لأداء أمريكا والاتحاد الأوروبي على أنه يعضد بعضه بعضاً، ويمثل كتلة في مواجهة الدول النامية والصاعدة.

ما مدى تأثير أداء الدول الصاعدة وعلى رأسها الصين في كسر الاحتكار الأمريكي الغربي للاقتصاد العالمي؟

مبررات التغيير

إن ما مر به العالم منذ مطلع الألفية الثالثة على الصعيد الاقتصادي يجعلنا أمام مشهد مختلف، حيث مر الاقتصاد العالمي بأزمات مالية عنيفة، على رأسها أزمة عام ٢٠٠٨م، التي كانت الأوضاع المالية بأمريكا سبباً رئيساً فيها؛ ما جعل أعضاء بمجموعة العشرين، وممثلين للدول الصاعدة، يطالبون بإعادة النظر في قواعد النظام الاقتصادي والمالي العالمي، والبحث عن عملة بخلاف الدولار تتيح فرصة أكبر للاستقرار المالي العالمي.

كما طالبت الدول الصاعدة وبعض الدول الأوروبية إعادة النظر في دور المؤسسات الدولية؛ بما يجعلها على قدم المساواة، بين الدول النامية والمتقدمة، وتبني سياسات تلبي التغير الحاصل من صعود للدول الصاعدة، يقتضي تغيير قواعد النظام السائد.

وجرت في نهر الاقتصاد العالمي مياه كثيرة، تتعلق بصعود ملموس للدول الصاعدة، ووجود مؤسسات وكيانات

الأداء الصيني تميز بإحراز تقدم بمجال التكنولوجيا الذي يعطي الأمل في إمكانية امتلاك ناصيتها بعيداً عن الغرب

ينظر إليها البعض على أنها في طور تقديم البديل لأمريكا والغرب، أو أنها تسعى لدور من شأنه إحداث تغير في تركيبة النظام الاقتصادي العالمي، ليكون نظاماً متعدد الأقطاب.

فقد رأينا بنك البنية التحتية الذي أنشأته الصين بمساعدة تجمع «البريكس»، وسعت لعضويته الكثير من الدول النامية والصاعدة، بل طلبت عضويته بعض الدول الغربية، كما نشط بشكل كبير مشروع طريق الحرير من قبل الصين بتنفيذ مشروعات البنية الأساسية في بعض البلدان النامية، واعتُمد اليوان الصيني كعملة دولية للتسويات المالية وتكوين الاحتياطيات النقدية في عام ٢٠١٦م.

إلا أن الملمح الأبرز في أداء الدول الصاعدة والنامية هو خروج تكتل «بريكس» عبر قممه الدورية، وأجندة موضوعاته التي على رأسها مواجهة الاحتكار الأمريكي والغربي للاقتصاد والتجارة.

والسؤال المطروح منذ عدة سنوات، وبخاصة بعد المواجهات الأمريكية مع الصين في مجال التجارة والتكنولوجيا على وجه التحديد، هو: ما مدى تأثير تطور أداء الدول الصاعدة وعلى رأسها الصين في كسر الاحتكار الأمريكي الغربي للاقتصاد العالمي؟

إمكانيات وتحديات التغيير

لا تخطئ العين المنافسة الشديدة بين أمريكا والصين على وجه التحديد، وبخاصة في مجالي الاقتصاد والتكنولوجيا، ولا يمكن تفسير ما اتخذته أمريكا من قرارات وإجراءات تجاه الصين، منذ ولاية ترمب الأولى، إلا أن ثمة مخاوف من تجاوز الصين لأمريكا والتفوق عليها اقتصاديا.

لذلك، تم فرض الرسوم الجمركية، والتهديد بسحب الاستثمارات الأمريكية من الصين، وكذلك تم حجب التكنولوجيا عن الصين، ليس فقط من قبل أمريكا، ولكن من قبل الاتحاد الأوروبي واليابان كذلك.

إلا أن الأداء الصيني وإن كان منفرداً، ولا يحظى بحالة دعم من باقي الدول، تميز بإحراز تقدم في مجال التكنولوجيا، يعطي الأمل في إمكانية امتلاك ناصية التكنولوجيا بعيداً عن الغرب وأمريكا، وظهر ذلك جلياً عبر بعض برامج الذكاء الاصطناعي، ليس فقط من حيث الإمكانات الفنية، ولكن الأهم هو التكلفة شديدة التواضع بما يُعلن من قبل أمريكا، وهو ما يعني أن أمريكا والغرب حصلا على عوائد مبالغ فيها على مدار أكثر من قرن نظير ما قدموه من تكنولوجيا للعالم.

والمجال الآخر الذي يجب أن تجتهد فيه الصين والدول الصاعدة، تجاه أمريكا، هو التخلص من السيطرة على مقدرات السياسة المالية والنقدية، سواء فيما يتعلق بهيمنة الدولار على عمليات التجارة والتسويات المالية عالمياً، أو سعر الفائدة الأمريكي الذي يحدد الأوضاع النقدية والمالية في كافة بلاد العالم.

وثمة خطوات اتخذتها دول «البريكس» منذ أكثر من عقد، لمواجهة احتكار أمريكا للنظام المالي والنقدي العالمي، منها توسيط العملات المحلية في تسوية التجارة البينية لدول «البريكس»، أو مع دول أخرى؛ ما يخفف من حدة سيطرة الدولار، وكذلك طرح إمكانية وجود عملة بديلة له، وهذه الخطوة الأخيرة لها أهمية كبيرة، تظهر من خلال رد الفعل غير المتزن من قبل ترمب، بتهديده بفرض ضرائب جمركية بنسبة ١٠٠% على الدول التي تستبدل الدولار في تعاملاتها الخارجية.

وتحتاج الخطوات المتخذة من قبل

توسيط العملات المحلية في تسوية التجارة البينية لدول «البريكس» أو مع دول أخرى يخفف من حدة سيطرة الدولار

الدول الصاعدة والنامية، سواء في تجمع «بريكس» أو غيره، إلى حالة من التنسيق، والتكامل فيما بينها، ولعل عودة ترمب كرئيس لأمريكا تمهد الطريق بشكل أفضل لبلورة جبهة أكبر ضد أمريكا، وبخاصة أن تصرفات ترمب وقراراته تستهدف الاتحاد الأوروبي كذلك، وهو ما قد يمثل نقلة تاريخية في طبيعة العلاقة بين الاتحاد الأوروبي وأمريكا، بأن ينحاز الاتحاد الأوروبي للدول الصاعدة وتجمع «بريكس».

فقواعد العلاقات الدولية قائمة على المصالح، وتقوى تلك العلاقات بشمول أطراف العلاقة بمصالح متساوية أو متقاربة، وهو ما لا يمكن الوصول إليه في ظل قرارات ترمب الرامية إلى تأجيج الحرب التجارية، وفرض أدوات استعمارية في العلاقات الاقتصادية والتجارية مع باقي دول العالم.

وإذا ما نجحت الدول الصاعدة والنامية، في زيادة التعاملات التجارية والمالية، بعيداً عن أمريكا والغرب، فسيؤدي هذا بدوره إلى عزلة أمريكا والغرب، ويزيد من حصة الدول الصاعدة والنامية من مقدرات الاقتصاد العالمي، وفي غضون عقود قليلة، يمكننا الوصول إلى نظام اقتصادي متعدد الأقطاب. ■

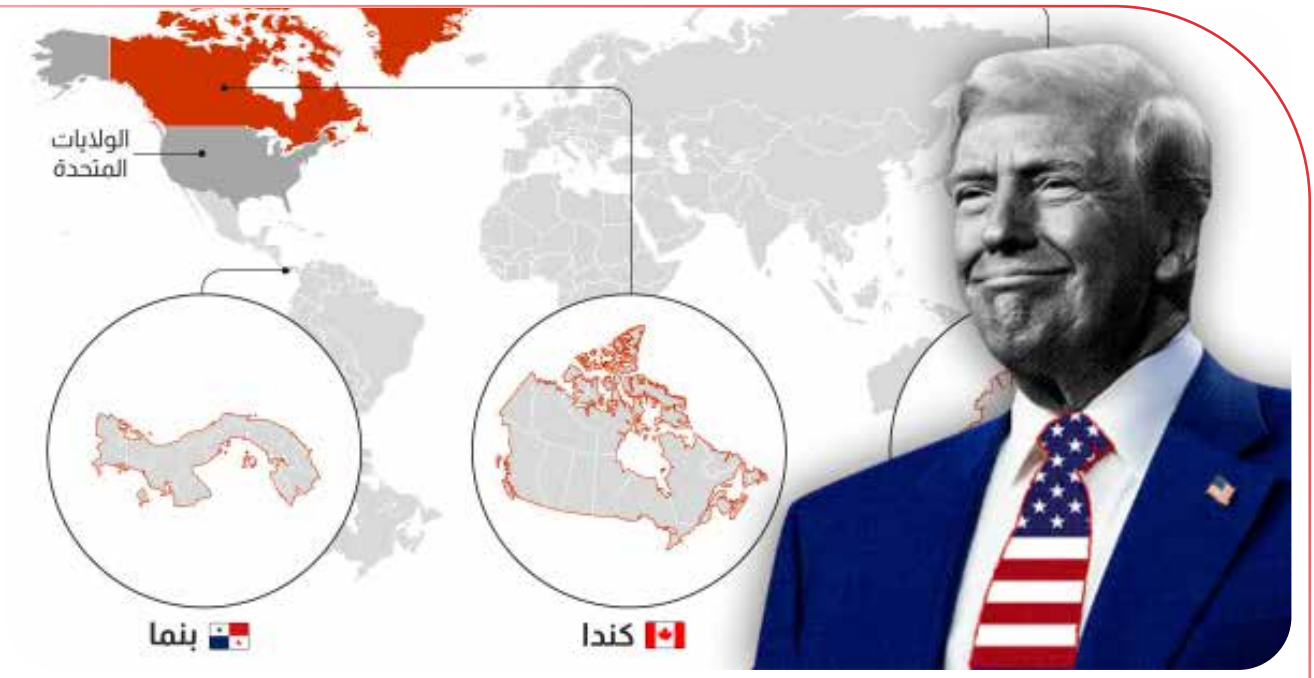

ترمب حاول ابتزاز 4 دول بالقارتين..

هـل تؤثـر التوترات في القـارة الأمريكيةعلى دور أمريكا العالمي؟

تُعتبر أمريكا اللاتينية الباحة الخلفية للولايات المتحدة الأمريكية؛ أي مركز حماية لأمنها القومي؛ لذا كانت محط تدخلات مستمرة من جانب المخابرات الأمريكية لإسقاط حكومات يسارية بانقلابات أو تدبير مؤامرات لضمان أن تسير هذه الحكومات اللاتينية في ركابها، وبسبب هذه السياسات الأمريكية التدخلية في شؤون القارة أسفرت أغلب انتخابات دول أمريكا اللاتينية عن فوز حكومات معادية لواشنطن أو مستقلة عن سيطرتها.

تقرير- محمد جمال عرفة:

مع مجيء الرئيس الأمريكي اليميني المتطرف دونالد ترمب للسلطة، شرع في سلسلة أعمال بلطجة اقتصادية تتضمن عقوبات وتهديدات ومحاولات لابتزاز أمريكا اللاتينية، وتصادَم مع ٣ دول لاتينية، هي: بنما وكولومبيا والمكسيك، بحجج مختلفة هدفها الابتزاز المالي.

كما دخل في صدام مع كندا التي تحمي شمال أمريكا، حين طالب بضمها لأمريكا لتصبح الولاية الـ٥١؛ ما زاد الخلافات والتوترات في المنطقة بصورة يتوقع المحللون أن تنعكس بالضعف على دور أمريكا العالمي؛ إذ إنها خلافات تمس الباحة الخلفية لأمريكا وأيضاً حدودها في الشمال (كندا).

ورفضت كولومبيا استقبال ٨٠ مهاجراً كولومبياً أعادتهم الولايات المتحدة على متن طائرتين عسكريتين، وهم مكبلون، منتقدة عدم احترام آدميتهم، ضمن إجراءات إدارة ترمب الجديدة بترحيل المهاجرين، وقد فرض الرئيس الأمريكي سلسلة عقوبات اقتصادية عليها، وردت عليها كولومبيا بعقوبات مضادة ضد أمريكا.

وأراد ترمب معاقبة كولومبيا ليس فقط لتمردها على قراراته بإعادة مهاجرين، ولكن لموقفها السابق من «إسرائيل»؛ حيث عارضت الاحتلال وإبادة غزة وقطعت علاقتها مع «إسرائيل»، فكانت النتيجة رد كولومبيا على عقوباته بحرمان الولايات المتحدة من ثاني أكبر سوق في أمريكا الجنوبية بعد البرازيل، حيث تحتل كولومبيا المركز الثاني في عدد السكان، والثالث من حيث الاقتصاد والناتج المحلي.

أمريكا اللاتينية تعتبر الباحة الخلفيـة للولايـات المتحـدة ومركـز حمايـة أمنهـا القومي

وأعلنت كولومبيا فرض رسوم جمركية ضد البضائع الأمريكية بنسبة ٥٠٪، وهي نسبة ضخمة تجعل من الصعب تسويق المنتج الأمريكي داخل كولومبيا، وأي شركة تفكر في الاستثمار في ذلك تعرض أموالها للخطر.

وكان لافتاً في رد الرئيس الكولومبي جوستافو بيترو على ترمب قوله: «نحن شعب تجري في عروقه دماء حضارة قرطبة والخلافة الأندلسية (الإسلامية)، وحضارة

الإمبراطورية الرومانية في أثينا»؛ ما يشير ضمناً للاعتداد بحضارة المسلمين.

لم تثر كولومبيا فقط، بل تحركت أمريكا اللاتينية ضد ترمب، وقالت رئيسة الهندوراس: «في حالة الانتقام من مهاجرينا، سيتعين علينا إعادة النظر في سياسات التعاون العسكري مع الولايات المتحدة الأمريكية، فعلى مدى عقود حصلوا على قواعد عسكرية على أرضنا دون دفع سنت واحد».

وضمن سعيه لتركيع دول أمريكا اللاتينية، وقع ترمب إعلاناً يحدد يوم ٩ فبراير يوماً رسمياً يُعرف باسم «يوم خليج أمريكا»، وذلك بعدما قام بتغيير اسم «خليج المكسيك»؛ حيث أعلن بعد أدائه اليمين الدستورية أن إدارته سوف تعمد إلى تغيير اسم خليج المكسيك إلى «خليج أمريكا»؛ ما أثار غضباً لاتينياً ودولياً.

وفي لهجة ساخرة، قالت الرئيسة المكسيكية كلوديا شينباوم: إن الولايات المتحدة كانت تسمى في القرن السابع عشر بـ«أمريكا المكسيكية»، مضيفة أنه اسم جميل مع احترامي لترمب!

حروب تجارية

بعد ساعات من إعلان كارولين ليفات، المتحدثة باسم البيت الأبيض، فرض الرئيس الأمريكي ترمب زيادة جمركية بنسبة ٢٥٪ على البضائع الكندية والمكسيكية، و١٠٪ فقط على الصين، قالت صحف أمريكية: إن هذه الحرب التجارية لن تضر فقط الأمريكيين الذين سيعانون من ارتفاع أسعار السلع، ولكن أيضاً النفوذ السياسي والعالمي لأمريكا في أهم وأقرب منطقة لها تعتبر ساحتها الخلفية.

وقد حذر خبراء عبر موقع «كونفرزيشن» الأمريكي، مطلع فبراير ٢٠٢٥م، من أن الرسوم الجمركية التي فرضها ترمب بنسبة ٢٥٪ على كندا والمكسيك سوف تزيد من خطر اندلاع حرب تجارية أوسع نطاقاً، وقالوا: إن الحرب التجارية في أمريكا الشمالية، التي تنبأت بها الحكومتان الكندية والمكسيكية، قد تكون مجرد نذير للأحداث القادمة، وهي ضرر اقتصادي كبير، وتآكل الثقة بين الشركاء التجاريين، وزيادة التقلبات في الأسواق.

وأكدوا أن التحرك الذي اتخذته الولايات المتحدة ضد جيرانها سوف يخلف

المخابرات الأمريكية تدخلت لإسقاط حكومات يسارية لضمان سير الدول اللاتينية في ركابها

ترمب شرع بأعمال بلطجة اقتصادية لابتزاز دول القارة وتصادم مع بنما وكولومبيا والمكسيك

تأثيراً فورياً تقريباً على الدول الثلاث المعنية وعلى المشهد التجاري في أمريكا الشمالية، ويمثل بداية لإعادة تشكيل جذرية للتجارة الدولية والحوكمة السياسية في مختلف أنحاء العالم.

وأوضح الخبراء أن حجم التجارة بين الولايات المتحدة وكندا والمكسيك هائل، ويشمل مجموعة واسعة من السلع والخدمات، ومن بين القطاعات الأكبر حجماً تصنيع السيارات، والطاقة، والزراعة، والسلع الاستهلاكية، وسوف تكون صناعة السيارات، التي تعتمد على التجارة عبر الحدود، واحدة من أكثر الصناعات تضرراً، فالسيارة التي يتم تجميعها في كندا أو المكسيك أو الولايات المتحدة تعتمد إلى حد كبير على إمدادات الأجزاء من مختلف أنحاء أمريكا الشمالية.

وأضافوا أنه ستؤدي التعريفات الجمركية إلى رفع التكاليف على طول سلسلة التوريد هذه؛ ما قد يؤدي إلى ارتفاع الأسعار بالنسبة للمستهلكين وجعل المصنعين في الولايات المتحدة أقل قدرة على المنافسة، مؤكدين أن كندا والمكسيك قد ترد باستهداف الصناعات الحساسة سياسياً مثل الزراعة أو البنزين؛ ما سينعكس على المستهلكين الأمريكيين الذين وعدهم ترمب بتخفيف العبء عنهم، وقد يلجؤون لخيارات قانونية من خلال آليات حل النزاعات المنصوص عليها في اتفاق الولايات المتحدة والمكسيك وكندا أو منظمة التجارة العالمية.

ورد رئيس وزراء كندا جاستن ترودو بالمثل على قرارات ترمب التجارية ضد بلده بفرض رسوم جمركية مضادة على السلع الأمريكية، كما بدأ الكنديون حملة مقاطعة للسلع الأمريكية؛ وهو ما أظهر أن الدول التي تحترم سيادتها ترد بحزم على القرارات التي تمس كرامتها، وأظهر أن سلوك ترمب وخلقه التوترات في أمريكا اللاتينية وكندا ضرب صورة أمريكا العظمى، وجعل الدول تتحدى النفوذ الأمريكي؛ ما سيضعف دور أمريكا العالمي لصالح الصين وروسيا.

وكان ترمب حاول أيضاً فرض البلطجة على بنما، وأعلن أنه سيسيطر على قناة بنما بحجة أن أمريكا ساهمت في بنائها، وكان هدفه مادياً يتمثل في تخفيض رسوم عبور السفن الأمريكية، وحين رفضت بنما أشاع أنهم قبلوا مرور سفن أمريكا «مجاناً»؛ وهو ما أثار سخرية العالم منه، ونفته بنما! مؤكدة أن سفن أمريكا ستدفع رسوماً مثل بقية السفن، لتنتهي معارك ترمب كلها بالخسارة وتراجع نفوذ أمريكا في المنطقة اللاتينية والعالم.■

الصعود الصيني ونهاية عصر أحادية القطبية

يشهد العالم تحولاً جذرياً في موازين القوى، حيث يتراجع التفوق الأمريكي الأحادي لصالح صعود الصين كقوة عالمية مؤثرة، هذا التحول لم يكن وليد اللحظة، بل نتيجة عقود من السياسات الاقتصادية، والإستراتيجية السياسية الحذرة، والتطور التكنولوجي السريع الذي جعل بكين منافساً حقيقياً لواشنطن، فكيف تحقّق هذا الصعود؟ وما تداعياته على النظام الدولي؟

د. محمد مكرم بلعاوي
رئيس منتدى آسيا والشرق الأوسط

من التعاون إلى التنافس.. بدايات الصعود الصيني:

شكّل لقاء الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون بالزعيم الصيني ماو تسي تونغ، في أوائل السبعينيات من القرن الماضي، نقطة تحول في العلاقات بين البلدين، ففي تلك الفترة، كانت الصين على علاقات سيئة مع الاتحاد السوفييتي والهند، وتعاني من اضطرابات داخلية ومجاعات واسعة؛ ما دفعها للبحث عن انفتاح اقتصادي يتيح لها الاستفادة من التكنولوجيا والاستثمارات الأمريكية، وعلى هذا الأساس، بدأت الولايات المتحدة في توريد خطوط إنتاج للصين، وتقديم مساعدات لدعم قطاعي الصناعة والزراعة؛ ما فتح الباب أمام ما بات يُعرف بـ«الاشتراكية ذات الخصائص الصينية»، التي رأى الغرب فيها شكلاً من أشكال «رأسمالية الدولة».

مع انهيار الاتحاد السوفييتي، بدا للولايات المتحدة أن النمو الصيني قد يخرج عن السيطرة، وأن الهدف الذي قامت عليه علاقتها بالصين - وهو تفكيك المعسكر الشيوعي - لم يعد ذا جدوى، خاصة أن الاقتصاد الصيني واصل نموه بشكل لافت، ومع بروز الولايات المتحدة كقوة مهيمنة بلا منافس، طُرح مصطلح «أحادية القطبية» ليعكس هذا الواقع الجديد.

التحولات الإستراتيجية الأمريكية والصينية:

على الرغم من القلق الأمريكي المتزايد تجاه صعود الصين، فإن الأولويات الأمريكية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة تركزت على الشرق الأوسط، حيث خاضت واشنطن عدة حروب، أبرزها في العراق وأفغانستان؛ ما استنزف مواردها وشتت انتباهها عن التطورات الآسيوية.

تحوُّل الصين إلى قطب عالمي يعتمد على التوازن الداخلي والخارجي وتجنب الصدام مع الغرب

في المقابل، استغلت الصين هذا الفراغ لتعزيز قدراتها الاقتصادية والعسكرية، مستفيدة من إقبال الشركات ورؤوس الأموال الأمريكية والغربية على الصين حيث نقلت إليها الكثير من المصانع وخطوط الإنتاج، مستغلة التسهيلات الحكومية، وانخفاض تكاليف الإنتاج متمثلة بالمقام الأول بالعمالة الصينية المدربة والرخيصة والبنية التحتية القوية والسوق الصينية الكبيرة، وبالمقابل استغلت الصين أيضاً استثماراتها في سندات الخزانة الأمريكية ومن كون السوق الأمريكية المستورد الأول لمنتجاتها.

مع مجيء الرئيس دونالد ترمب، تغيّر النهج الأمريكي تجاه آسيا عموماً، والصين على وجه الخصوص، حيث ألغى ترمب عدة اتفاقيات كانت تهدف إلى دمج الصين في النظام العالمي وفق الشروط الأمريكية، واتجه نحو المواجهة التجارية المباشرة، ورغم

فرضه رسوماً جمركية مرتفعة على المنتجات الصينية، فإن هذا النهج لم يحقق النتائج المرجوة، إذ أصبحت الصين أقل اعتماداً على السوق الأمريكية، وأكثر قدرة على تنويع صادراتها.

«الحزام والطريق».. توسع النفوذ الصيني:

تعد مبادرة «الحزام والطريق» أبرز أدوات الصين لتعزيز نفوذها العالمي، فالمبادرة التي تهدف إلى إعادة إحياء طريق الحرير التاريخي عبر استثمارات هائلة في البنية التحتية، توفر للصين نفوذاً سياسياً واقتصادياً في أكثر من ١٤٠ دولة، إذ لم تعد الصين تكتفي بتطوير قدراتها الداخلية، بل تسعى لبناء شبكة اقتصادية عالمية تجعلها لاعباً أساسياً في التجارة الدولية.

وقد برزت تأثيرات هذه المبادرة بشكل واضح في دول مثل باكستان، حيث موَّلت الصين مشروع «الممر الاقتصادي الصيني-الباكستاني» بقيمة ٦٢ مليار دولار، محوِّلة البلاد إلى مركز لوجستي رئيس، غير أن الضغوط الأمريكية حالت دون تنفيذ بعض مشاريعها، مثل تطوير ميناء «جوادار»؛ ما يعكس الصراع المتنامي بين القوتين على النفوذ العالمي.

التكنولوجيا.. السلاح السري للصين:

إلى جانب القوة الاقتصادية، تسعى الصين للهيمنة على القطاعات التكنولوجية المستقبلية عبر مبادرة «صنع في الصين ٢٠٢٥»، التي تهدف للريادة في مجالات مثل الذكاء الاصطناعي، وأشباه الموصلات، والتكنولوجيا الحيوية، وقد أثارت هذه الإستراتيجية قلق الولايات المتحدة، التي ردت بفرض قيود على تصدير التقنيات المتقدمة إلى الشركات الصينية، وعلى رأسها «هواوي»، ومحاولة حظر بعض التطبيقات مثل «تيك توك».

ورغم ذلك، فإن الصين لا تزال متقدمة في بعض المجالات، مثل امتلاكها ٤٠% من براءات الاختراع العالمية في الذكاء الاصطناعي، مقارنة بـ٢٢% فقط للولايات المتحدة، علماً بأنّ التقديرات تشير إلى أن نسبة المهندسين الصينيين من العاملين في الذكاء الاصطناعي تزيد على ٥٠%من المختصين في هذا المجال عالمياً، وقد ظهر هذا جلياً عندما تم الإعلان مؤخراً عن برنامج الذكاء الاصطناعي «ديب سيك» الذي أدى إلى خسارة البورصة الأمريكية أكبر خسارة في تاريخها.

الجنوب العالمي.. قاعدة دعم للصعود الصيني:

تدرك الصين أن تعزيز نفوذها لا يقتصر على المنافسة مع الولايات المتحدة فحسب، بل يمتد إلى بناء تحالفات جديدة في دول الجنوب العالمي، ومن خلال منظمة «بريكس»، تسعى الصين إلى تقليل هيمنة الدولار الأمريكي على التجارة العالمية، حيث ارتفعت نسبة التبادلات التجارية بين أعضاء المنظمة بالعملات المحلية إلى ٣٠%، مقارنة بـ٥% فقط عام ٢٠١٥م، وتقدم الصين نفسها كبديل للنظام المالي الغربي، حيث بلغت استثماراتها في الدول النامية أكثر من ٢٠٠ مليار دولار عام ٢٠٢٣م؛ ما يجعلها شريكاً رئيساً لهذه الدول في التنمية والبنية التحتية.

بالإضافة إلى ذلك، عملت على تعزيز حضورها في مؤسسات الأمم المتحدة، وبالتوازي أطلقت مجموعة من المبادرات المهمة في كافة المجالات، داعية دول الجنوب العالمي للتفاعل معها، في ظل إخفاق ما يسمى بالنظام العالمي القائم على القواعد، الذي تم إنشاؤه عقب الحرب العالمية الثانية، حيث يعمل بانتقائية ويتجاهل إلى حد بعيد مصالح معظم دول الجنوب العالمي.

التحديات والقيود على الصعود الصيني:

رغم النجاحات التي حققتها الصين، فإنها تواجه تحديات عديدة قد تعيق طموحاتها، أبرزها الضغوط الأمريكية التي تتمثل بالعقوبات الاقتصادية، وفرض قيود على تصدير التكنولوجيا، وحملات إعلامية تستهدف التشكيك في سياسات بكين، بالإضافة إلى ذلك يبرز تحدي التداخل الاقتصادي، إذ إن الاقتصاد الصيني يقوم على الاعتماد التبادلي مع الغرب، فرغم سعي الصين لتنويع

أسواقها، فإن ٤٠% من صادراتها لا تزال تتجه إلى الأسواق الغربية.

بالإضافة إلى التحديات الخارجية، هناك أيضاً التحديات الداخلية، إذ يمثل تراجع معدلات النمو السكاني، وارتفاع ديون الشركات المحلية، وضعف استهلاك الطبقة الوسطى، وتمكين المناطق الداخلية، أهم هذه التحديات التي تسعى الصين إلى التعامل معها.

نحو نظام عالمي جديد:

لا شك أن الصعود الصيني يمثل تحولاً جذرياً في النظام الدولي، حيث لم يعد بالإمكان الحديث عن عالم أحادي القطبية، خصوصاً في ظل الإخفاق الأمريكي المستمر بمراعاة مصالح دول العالم واعتمادها سياسة شرسة تجعل في قلبها المصالح الأمريكية بعيداً عن أي اعتبار أخلاقي في كثير من الأحيان، ومع ذلك، فإن هناك مجموعة من التساؤلات التي ينبغي أن تأخذ بالحسبان وهي:

هل تتمكن الصين من التحول إلى قطب دولي مكافئ للولايات المتحدة الأمريكية؟ وهل سيحصل ذلك سلمياً؟ وهل سيكون النظام الجديد أكثر عدالة؟ وهل سيكون ذلك لمصلحة العالم العربي، أم أننا أمام استبدال هيمنة بقطب جديد؟

بالرغم أن التجربة الثقافية والحضارية للصين تختلف اختلافاً جذرياً عن التجربة الغربية عموماً، وبالتالي فإن السلوك الصيني لن يكون نسخة مكررة من التجربة الغربية، مع ذلك فإن تأثيرات هذا الصعود على العالم العربي تعتمد بالمقام الأول على قوة الدول العربية الذاتية، وارتقائها إلى مصاف الشريك الكفؤ للصين، وهو ما يستدعي أن تستعد هذه الدول بما يتناسب مع المرحلة القادمة.

إن تحول الصين إلى قطب عالمي يعتمد على قدرتها على تحقيق توازن دقيق بين تطلعاتها العالمية وتحدياتها الداخلية، ورغبتها في التعاون وتجنب الصدام المباشر مع الغرب، في ظل هذه التغيرات، فإن العالم مقبل على مرحلة جديدة من المنافسة الجيوسياسية، قد تعيد رسم خرائط النفوذ الدولي لعقود قادمة.■

تأثيرات الصعود الصيني على العالم العربي تعتمد بالمقام الأول على قوة دُوَله الذاتية

المفكر د. محمد سليم العوا لـ«المجتمع»: المؤسسات الدولية انهارت والأمل في مقاومة الشعوب

حول مستقبل المؤسسات الدولية في ظل التحولات العالمية الكبرى، خاصة مع تصريحات الرئيس الأمريكي دونالد ترمب بتهجير الفلسطينيين من أراضيهم، والاستيلاء على غزة، التقت «المجتمع» المفكر الإسلامي د. محمد سليم العوا، الأمين العام السابق للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، عضو مجمع الفقه الإسلامي الدولي، في حوار أكد فيه أن المنظمات الدولية انهارت، في ظل إفلاس النظام الدولي، معولاً على الشعوب الحية وظهور زعامات شعبية حقيقية تواصل المقاومة.

حوار – حسن القباني:

● في البداية، كيف ترون تصريحات الرئيس الأمريكي دونالد ترمب بشأن تهجير الفلسطينيين؟

– هي عبارة عن دخان في الهواء، يستحيل أن ينفذها، ويستحيل أن ينفذ رغبته في إجلاء الفلسطينيين من غزة وسائر فلسطين بالطبع، فهو لا يقصد غزة فقط، هو يعيش في وهْم من أجل خدمة «إسرائيل»، ومحاولة إرضاء ممولي حملته الانتخابية من اليهود، ولكن ذلك الأمر يكاد يكون مستحيلاً، ليس فقط لأن العالم يقف ضده، ولكن لأن الفلسطينيين سيموتون جميعاً عن بكرة أبيهم دون أراضيهم، ولا يوجد فلسطيني واحد يقبل بهذه الأفكار التي يقول بها ترمب.

هناك الآن نموذج جبار؛ هو نموذج الجهاد في فلسطين، الذي يعمل منذ ٧ أكتوبر ٢٠٢٣م حتى اليوم، في غزة والضفة الغربية، حتى دفع «إسرائيل» إلى اللجوء إلى السلطة الفلسطينية كي تقاتل مكانها في الضفة، وهو أمر يعني إفلاس «إسرائيل» وجيشها.

● بالمخالفة الصارخة من رئيس أكبر دولة بالعالم للقانون الدولي، هل هذا مؤشر على انهيار النظام العالمي الجديد ومؤسساته، كما يرى البعض؟

– في الحقيقة، النظام العالمي الجديد لم يتأسس، وكان مجرد شعار، ولن يتحقق في المستقبل، وترمب جاء هذه المرة بخطط لتقسيم العالم، والاستيلاء عليه ومحاربة الجميع، من كندا والمكسيك وبنما وكولومبيا إلى غزة، وهذه تخاريف، لشعوره، بالانتصار الزائف الذي حدث في الانتخابات.

● كيف تقيّمون المؤسسات الدولية منذ ٧ أكتوبر ٢٠٢٣م حتى اليوم؟

– هذه المؤسسات ثبت إخفاقها في معالجة أي قضية عالمية، وأنطونيو جوتيريش، الأمين العام للأمم المتحدة، أطلق العديد من التصريحات منذ ٧ أكتوبر ولم يستمع له أحد، و«الأونروا»

تصريحات ترمب دخان في الهواء ولا يوجد نظام عالمي ولا مؤسسات دولية

المؤسسة الإنسانية الوحيدة التي تعمل في فلسطين تحت مظلة الأمم المتحدة طُردت واُتهم أعضاؤها بالإرهاب، ولم يسمح لها بالعمل، والصحة العالمية ممنوعة من الدخول، ومجلس حقوق الإنسان الدولي لم يكن على مستوى ما يحدث في فلسطين.

النظام الدولي ساقط، ولم تكن المواقف الدولية على قدر المجزرة الدائرة، واكتفت دول العالم بالتنديد أو بالاعتراف بسلطة محمود عباس، التي هي في حقيقة الأمر سلطة تابعة للاحتلال الصهيوني، وكل ما حدث من المجتمع الدولي ومؤسساته لا يصل إلى حد فرقعة في الهواء!

في المقابل، كانت الشعوب الغربية حية، بمظاهراتها وإضراباتها وتحركاتها الجامعية وفي الشوارع، في كل أنحاء العالم.

● هل يمكن النظر إلى المحكمة الجنائية الدولية، أنها قدمت بصيصا من الأمل بالنظر في قضية الإبادة الجماعية للفلسطينيين؟

– المحكمة استمعت فقط ولم تتصد بعد، ورغم ذلك قامت أمريكا ولم تقعد، وعلى ما يبدو أنه عند التصدي

ستكون الأمور صعبة، كما أن فرض عقوبات على قضاة المحكمة «بلطجة» أمريكية، وإهدار لكل قيمة دولية، فما معنى ملاحقة دولة لمحكمتين دوليتين، وانسحابها من منظمة الصحة العالمية، ومجلس حقوق الإنسان الدولي، ثم فرض عقوبات على قضاة؟! هذا دليل على إفلاس للنظام الدولي، وليس لديَّ أمل أن تستطيع أن تواجه محكمة العدل، والمحكمة الجنائية، ذلك الإفلاس في ظل انهيار النظام الدولي.

● هل نحن بحاجة إلى تأسيس أُممي جديد بعد ذلك الانهيار؟

– أعتقد أنه غير مجدٍ، فالنظام الدولي منهار، روسيا تحارب أوكرانيا، والغرب يدعم الأخيرة، و«إسرائيل» تدمر بلادنا العربية، وبلادنا صامتة ولم تتحدث إلا بالنزر اليسير، ولكن لا بد أن نقول: إن الموقف الأخير برفض التهجير موقف محمود ويجب أن يُشجَّع، وأعتبر أن موقف مصر بالذات يستحق التقدير.

● هل يمكن أن تعوّض جامعة الدول العربية، ومنظمة التعاون الإسلامي، هذا الغياب المؤسسي الدولي؟

– جامعة الدول العربية، ومنظمة التعاون الإسلامي، وغيرهما من منظمات شرق آسيا، مجرد منظمات حكومية، تعبر عن رأي الدول لا الشعوب، والدول مواقفها معروف بسبب الضغوط الأمريكية الاقتصادية والعسكرية والسياسية؛ ولذلك لا أمل عندي في كل هذه المنظمات، سواء العربية أو العالمية.

● البعض يدعو إلى إنشاء نظام أمن وتعاون في دول الإقليم؛ لمحاولة تدارك الغياب المؤسسي الدولي، ومواجهة الجنون الأمريكي، كيف ترى ذلك؟

– هذه مناداة، بها تناقضات غريبة جداً، فالبعض ينظر إلى الدولة الإقليمية إيران كعدو رغم المعاهدات، فيما تنظر إلى «إسرائيل» كحليف وصديق! فوجود هذه المشاركة شبه مستحيل، النداء الصحيح ليس هكذا، الدعوات يجب أن تتوجه إلى البدء بالأمن الاقتصادي، عبر محور إسطنبول– القاهرة– بغداد– الرياض، بالتزامن مع الأمن الثقافي الذي يضم القاهرة ودمشق وبغداد والمملكة العربية السعودية كلها وليس الرياض فقط.

نحن في أشد الحاجة إلى إعادة هذين المحورين الحضاريين اللذين كانا متواجدين في فترة سابقة.

● إذا كان الوضع كذلك، ماذا يجب علينا كعرب ومسلمين في هذا الوقت، برأيك؟

– العرب والمسلمون بحاجة إلى زعامات شعبية حقيقية في مختلف المجالات تكون محل ثقة شعوبها، وتستطيع أن تحركها وتجعلها على قدر المسؤولية في مواجهة العدوان الدولي وليس الصهيوني فقط، فما حدث في غزة شارك فيها دول أخرى مثل ألمانيا وبريطانيا وفرنسا.

مع الأسف «القهر» الذي يحاصر الشعوب هو السبب فيما وصلنا إليه، واسمح لي أن أطلب من مجلة «المجتمع» أن تكتب كلمة «القهر» بخط أكبر وأكثر سواداً، ورغم ذلك أملي في الشعوب التي قد تخرج منها زعامات قوية مخلصة تقوم بالمسؤولية الواجبة.

● هل نظرة العالم ومؤسساته اختلفت في التعامل معنا بعد «طوفان الأقصى»؟

– جزء كبير من شعوب العالم تنظر إلينا باحترام وتقدير، إنهم يعتبرون أن الفلسطينيين قوم أبطال دافعوا عن حقهم في الأرض والحياة، أما المؤسسات الدولية الحكومية أعتقد أنها سوف تضع كل ما يمكن من عراقيل، في مواجهة أي محاولة لإثبات الحق الفلسطيني في الوجود وإعلان الدولة، وأما المؤسسات المخابراتية العالمية، أتوقع أن تقوم بالبحث عن كل شخص دافع عن الحق الفلسطيني، ودفع جنيهاً أو دولاراً لمساندة فلسطيني؛ كي تنكل به أعظم تنكيل، حتى يكون مانعاً لمن يأتي من بعده أن يصنع مثله.

ورغم ذلك، أعتقد أن أي تنكيل جديد سيزيد الشعوب إصراراً على موقفها، ومثلما ظهر الشيخ ياسين، والرنتيسي، وهنية، والسنوار، سيظهر غيرهم، لينجزوا إنجازات جديدة، في زمن مختلف، ستكون فيه زعامات حقيقية تقود الشعوب لإقرار كل الحقوق.

● ختاماً، في ظل خذلان المؤسسات الدولية، إلى أين تمضي القضية الفلسطينية؟ وما اليوم التالي القادم لها؟

– اليوم التالي لما حدث سيكون أشد مما حدث، والدفاع عن الحق الفلسطيني سيزداد ولن ينقص، وأطفال غزة هم مشاريع مستقبلية تؤكد أن المقاومة مستمرة، وبالتالي فاليوم التالي هو يوم المقاومة بلا نزاع، وموعده قد يكون غداً أو بعد غد أو بعد ٥ سنين، لا يهمني، ودليلي صبر النبي صلى الله عليه سنوات عدة حتى إقامة دولته، وثقتي كبيرة أن الشعوب ستظل أمينة على القضية الفلسطينية.■

نفتقد زعامات شعبية حقيقية تواجه العدوان الدولي والأيام القادمة أشد مما كانت

الجهاد بفلسطين منذ ٧ أكتوبر قدم نموذجاً جباراً ولن يترك الفلسطينيون أرضهم أبداً

لقد كانت التطورات التكنولوجية دائماً قوة دافعة في تشكيل توازن القوى العالمي؛ فمن الثورة الصناعية إلى العصر الرقمي، أعادت الابتكارات تعريف الديناميكيات الاقتصادية والعسكرية والسياسية؛ ما مكّن بعض الدول من الصعود، بينما تراجعت دول أخرى.

وفي القرن الحادي والعشرين، يعمل التقدم التكنولوجي السريع مرة أخرى على إعادة توزيع القوة العالمية، مع آثار عميقة على العلاقات الدولية والمنافسة الاقتصادية والاستقرار الجيوسياسي.

كيف تساهم التطورات التكنولوجية في إعادة توزيع ميزان القوى العالمي؟

د. عمران سالم
خبير أمن المعلومات

التفوق الاقتصادي:

إن إحدى أهم الطرق التي تعيد بها التكنولوجيا توزيع القوة هي من خلال التحول الاقتصادي، فالدول التي تقود الابتكار التكنولوجي، مثل الولايات المتحدة والصين وأعضاء الاتحاد الأوروبي، تكتسب ميزة تنافسية في الاقتصاد العالمي.

على سبيل المثال، تعمل التطورات في الذكاء الاصطناعي والروبوتات والطاقة المتجددة على خلق صناعات جديدة وتعطيل الصناعات التقليدية.

والدول التي تستثمر بكثافة في هذه المجالات، مثل الصين بمبادرة «صنع في الصين ٢٠٢٥»، تضع نفسها في موقع القادة العالميين، وعلى العكس من ذلك، فإن الدول التي تفشل في التكيف تخاطر بالتخلف عن الركب؛ ما يؤدي إلى تفاقم التفاوت العالمي.

إن الفجوة الرقمية بين البلدان المتقدمة تكنولوجياً والبلدان النامية تتسع؛ ما يزيد من تركيز القوة الاقتصادية في أيدي قلة من الناس.

القوة العسكرية:

تعد القوة العسكرية حجر الزاوية في النفوذ العالمي، وهي في طليعة ما يتم إعادة تشكيله أيضاً من خلال التكنولوجيا.

فلقد أدى تطوير قدرات الحرب السيبرانية والطائرات بدون طيار والصواريخ الأسرع من الصوت إلى تغيير طبيعة الصراع والدفاع، على سبيل المثال، كانت الولايات المتحدة تهيمن منذ فترة طويلة على التكنولوجيا العسكرية، لكن الصين وروسيا تسد الفجوة بسرعة.

إن التقدم الذي أحرزته الصين في مجال الذكاء الاصطناعي والحوسبة الكمومية، إلى جانب تطوير روسيا للأسلحة الأسرع من الصوت، يتحدى التفوق العسكري التقليدي للدول الغربية، هذا التحول يخلق عالماً متعدد الأقطاب حيث يتم توزيع القوة بشكل أكثر توازناً؛ ما يقلل من الهيمنة الأحادية لأي دولة.

وعلاوة على ذلك، تعمل التكنولوجيا على إعادة تعريف القوة الناعمة والنفوذ

القوة الاقتصادية والقدرات العسكرية والذكاء الاصطناعي مجالات تحدد الدول التي تتمتع بنفوذ عالمي

العالمي، فلقد أعطى صعود المنصات الرقمية ووسائل التواصل الاجتماعي الدول أدوات جديدة لعرض قيمها وثقافتها وأيديولوجياتها.

وهيمنت الولايات المتحدة تاريخياً، من خلال شركات مثل «جوجل» و«فيسبوك» و«إكس» (تويتر سابقاً)، على المشهد الرقمي، ولكن تطوير الصين لمنصات مثل «تيك توك»، و«وي تشات»، إلى جانب مبادرة «الحزام والطريق» (مشروع إنشاء شبكة من الطرق البرية والبحرية تربط آسيا بأوروبا وأفريقيا لتعزيز التعاون الاقتصادي) يعمل على توسيع نفوذها العالمي، بدعم كبير من عدد هائل من التطبيقات الذكية التي تدعم التجارة الإلكترونية الصينية، فشراء منتج من الصين أصبح أكثر سهولة من التسوق في المتجر المحاذي للبيت.

وعلى نحو مماثل، يوضح استخدام روسيا للأدوات السيبرانية للتلاعب بالمعلومات والتأثير على الانتخابات كيف يمكن تسليح التكنولوجيا لتحقيق أهداف جيوسياسية.

الذكاء الاصطناعي:

من جانب آخر، تعمل الأتمتة التي يقودها الذكاء الاصطناعي على إعادة تشكيل أسواق العمل؛ ما يعود بالنفع على الدول التي يمكنها الاستفادة من إمكاناتها، بينما تضر بالدول التي تعتمد على الصناعات التقليدية.

هذا التحول ليس اقتصادياً فحسب، وإنما سياسي أيضاً، حيث تؤثر الدول ذات القدرات المتقدمة في مجال الذكاء الاصطناعي على اللوائح العالمية ومعايير الأمن السيبراني والاعتبارات الأخلاقية في التكنولوجيا.

إن إعادة توزيع القوة واضحة أيضاً في مجال الحوكمة العالمية، فقد خلقت التطورات التكنولوجية تحديات جديدة، مثل تهديدات الأمن السيبراني، ومخاوف خصوصية البيانات، والآثار الأخلاقية للذكاء الاصطناعي، وتتطلب هذه القضايا التعاون الدولي، ولكنها توفر أيضاً فرصاً للدول لتأكيد الزعامة.

على سبيل المثال، تولّى الاتحاد الأوروبي دوراً قيادياً في تنظيم خصوصية البيانات من خلال اللائحة العامة لحماية البيانات (GDPR)، ووضع معياراً عالمياً، وفي الوقت نفسه، تستفيد الصين من براعتها التكنولوجية لتشكيل المعايير العالمية، وخاصة في مجالات مثل البنية التحتية لشبكات الجيل الخامس وحوكمة الذكاء الاصطناعي.

أخطار التبعية

التبعية حالة تعتمد فيها دولة أو كيان على آخر في تلبية احتياجاتها الأساسية أو تحقيق أهدافها، سواء كانت اقتصادية أو سياسية أو تكنولوجية أو أمنية.

في السياق التكنولوجي، تُعرف التبعية التكنولوجية بأنها اعتماد دولة ما على تقنيات أو موارد أو خبرات من دول أخرى؛ ما يحد من قدرتها على تحقيق الاكتفاء الذاتي أو الاستقلال في صنع القرار، على سبيل المثال، عندما تعتمد دولة على تقنيات الذكاء الاصطناعي أو البنية التحتية الرقمية التي تطورها دول أخرى، فإنها تصبح عرضة للتأثيرات الخارجية، سواء عبر فرض شروط سياسية أو اقتصادية أو حتى من خلال التهديد بقطع الإمدادات التكنولوجية.

وربما السيطرة على البرمجيات والمعدات قد تكون سبباً في زرع برمجيات التجسس على الدول التابعة، هذه التبعية يمكن أن تقيّد سيادة الدولة وتجعلها أكثر عرضة للضغوط الخارجية، خاصة في ظل المنافسة الجيوسياسية بين القوى العظمى؛ لذلك، تسعى العديد من الدول

القوة العسكرية حجر الزاوية بالنفوذ العالمي وفي طليعة ما يتم إعادة تشكيله من خلال التكنولوجيا

الدول التي تستغل الابتكار التكنولوجي بشكل فعَّال ستشكل النظام الجيوسياسي المستقبلي

إلى تقليل تبعيتها التكنولوجية من خلال تعزيز البحث والتطوير المحلي وبناء بنية تحتية تكنولوجية مستقلة.

أخيراً، فإن الوتيرة السريعة للتغير التكنولوجي تشكل أيضاً أخطاراً لا يدركها الجميع، وقد يؤدي تركيز القوة التكنولوجية في عدد قليل من الدول أو الشركات إلى ممارسات احتكارية وتفاقم التفاوتات العالمية.

بالإضافة إلى ذلك، فإن عسكرة التكنولوجيا تزيد من خطر الصراع، وخاصة في المناطق المتنازع عليها، مثل بحر الصين الجنوبي وأوروبا الشرقية، حيث إن الافتقار إلى الإجماع الدولي بشأن تنظيم التكنولوجيات الناشئة يزيد من تعقيد توازن القوى العالمي.

لا شك أن التطورات التكنولوجية تؤدي دوراً حاسماً في إعادة توزيع موازين القوى العالمية، فالدول التي تستثمر في التكنولوجيا وتتبنى التقنيات الحديثة تتمتع بمزايا اقتصادية وعسكرية وسياسية، والتقدم التكنولوجي يعيد تشكيل توازن القوى العالمي باستمرار.

فالقوة الاقتصادية، والقدرات العسكرية، وقيادة الذكاء الاصطناعي، والبراعة في مجال الأمن السيبراني، تحدد بشكل متزايد الدول التي تتمتع بنفوذ عالمي، وفي حين تسعى القوى التقليدية إلى الحفاظ على هيمنتها، تستفيد الدول الناشئة من التكنولوجيا لتحدي الوضع الراهن.

ومع تقدم العالم إلى عصر التحول الرقمي السريع، فإن الدول التي تستغل الابتكار التكنولوجي بشكل فعال سوف تشكل النظام الجيوسياسي المستقبلي.■

القضية الفلسطينية في ظل التحولات العالميـــة الكبـــرى

د. إياد القطراوي
مختص بالشؤون السياسية الفلسطينية

القضية الفلسطينية إحدى القضايا الدولية المعقدة التي تمتد لعقود طويلة من الزمن، قضية تاريخية تتعلق بحقوق الفلسطينيين ووجودهم في دولتهم فلسطين المحتلة ومنطقة الشرق الأوسط، وتُعتبر واحدة من أكثر القضايا تعقيداً في العالم، حيث تعكس التاريخ الطويل من النزاع والتوتر بين الفلسطينيين والصهاينة، وتترك آثاراً عميقة على الصعيدين الإقليمي والدولي.

في السنوات الأخيرة، شهدت الساحة السياسية العالمية تحولات كبيرة أثرت على قضية فلسطين، بدءاً من تغيُّرات في السياسة العالمية الأمريكية والأوروبية، وصولاً إلى تغيرات في علاقات الدول العربية مع دولة الكيان، وما واكبها من أحداث سواء على صعيد الضفة الغربية والتغول الصهيوني على الأرض والإنسان الفلسطيني والتوسع الاستيطاني ومصادرة الأراضي، أو على صعيد قطاع غزة بعد حرب الإبادة التي شنتها دولة الكيان وجيشها النازي على كل مناحي الحياة بدعم أمريكي لا محدود وتواطؤ غربي.

أولاً: التحولات السياسية العالمية:

- التحولات الأمريكية: يلاحظ المتابع لسياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، وموقفها من القضية الفلسطينية بشكل عام، ومن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين بشكل خاص، أنها اتسمت بسمات أساسية على مدار أكثر من ٦ عقود خلت، يمكن وصفها بقلة المتغيرات وقوة الثوابت، وقد ارتبط ذلك بمجموعة من الاعتبارات والمصالح الإقليمية والدولية للولايات المتحدة الأمريكية، وقد عملت على احتواء الصراع العربي-الصهيوني، وبالتالي جوهره المتمثل بالقضية الفلسطينية، وذلك لتحقيق الأهداف المختلفة، وفي مقدمتها الحفاظ على المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط.

ويمثل موقف الإدارات الأمريكية المتعاقبة من قضية الفلسطينية انعكاساً لمدى العلاقة مع دولة الكيان، فكلما توطدت علاقة الإدارة معها؛ تراجع الاهتمام بالقضية الفلسطينية، وبقيت أسيرة الصراع الدائر بين قوى الضغط المؤيدة لدولة الكيان والإدارات الأمريكية المتعاقبة لجهة دعم المواقف الصهيونية؛ ما أثر على فرص السلام، وزاد من التوترات في المنطقة.

- السياسات الخارجية الأوروبية: الحقيقة الثابتة في موقف الأوروبيين أنهم يتحملون المسؤولية التاريخية والأخلاقية والقانونية الكاملة عن نشوء القضية الفلسطينية، وقيام دولة الكيان على أنقاض الشعب الفلسطيني وأرضه بشكل مخالف لكل الأعراف والقوانين الدولية.

فمنذ تأسيس كيانهم المزعوم ودولتهم

كلما توطدت علاقات الإدارات الأمريكية مع دولة الكيان تراجع الاهتمام بالقضية الفلسطينية

المغتصبة بعد قرار «وعد بلفور» المشؤوم، مروراً بقرار التقسيم، ثم إعلان دولة الكيان واحتلال الأرض الفلسطينية، وصولاً إلى أيامنا الراهنة والدعم اللامحدود لدولة الكيان والتصريحات العنصرية ضد الشعب الفلسطيني وحق دولة الكيان في الدفاع عن نفسها، في تجاهل واضح لحقوق الشعب الفلسطيني وإنكار عدالة القضية الفلسطينية.. رغم إدراكهم ذلك، تجعل من أوروبا ومن خلفها المجتمع الدولي مسؤولين عن تهجير الشعب الفلسطيني وقتله وسلب واغتصاب أرضه وتفجير منطقة الشرق الأوسط بكاملها، وتعريضها للحروب المستمرة وعدم الاستقرار.

– الصين وروسيا: تؤدي الدولتان دوراً متزايداً في الشرق الأوسط، حيث تحاولان تقديم بدائل للنفوذ الأمريكي التقليدي، وقد أعربتا عن دعمهما للقضية الفلسطينية.

– أزمات العالم المعاصر: النزاعات في أوكرانيا، والأزمات الاقتصادية، وتأثير التغير المناخي، كلها قضايا قد تؤثر على أولويات الدول في التعامل مع القضية الفلسطينية.

ثانياً: التحولات العربية والإسلامية:

– «الربيع العربي»: أدت الثورات التي شهدتها الدول العربية عام ٢٠١١م إلى تغييرات في الأولويات السياسية، حيث أصبح الاهتمام بقضايا الداخل أكثر من القضايا الإقليمية، وهذا أثّر على الدعم التقليدي الذي كانت توفره بعض الدول العربية لفلسطين، بالإضافة إلى ظهور قيادات جديدة قد تكون أقل انشغالاً بالقضية.

– التطبيع العربي مع دولة الكيان: قيام بعض الدول العربية بتطبيع العلاقات مع دولة الكيان، أثر على التضامن العربي التقليدي مع القضية الفلسطينية، هذا التطبيع قد يُعتبر تراجعاً في وضع فلسطين، ولكنه أيضاً يمكن أن يُعدّ فرصة لدفع النقاشات حول السلام في المنطقة.

– الدول الإسلامية: منظمة التعاون الإسلامي ومنظمات أخرى تحاول تعزيز الدعم لفلسطين، إلا أنه في ظل الانقسامات السياسية، لم تحقق نتائج ملموسة.

ثالثاً: التحولات الاقتصادية والاجتماعية:

– تعزيز التبعية الصهيونية: أدت سياسات دولة الكيان الاستعمارية إلى إحداث تشوهات

«الربيع العربي» غيَّر الأولويات السياسية والاهتمام بقضايا الداخل على حساب القضية الفلسطينية

إذا استمر التوتر الحالي قد يزداد النزاع تعقيداً ما يؤدي إلى تفاقم الأوضاع الإنسانية

بنيوية تراكمية في الاقتصاد الفلسطيني، وخلقت فجوة في الموارد واختلالاً في سوق العمل منذ احتلال فلسطين عام ١٩٤٨م، وما واكبها بعد ذلك من احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة عام ١٩٦٧م، وفرض الحكم العسكري المباشر، حيث سعت إلى تعزيز التبعية الاقتصادية للمجتمع الفلسطيني عبر السيطرة على الموارد الطبيعية والمالية والاقتصادية، وقطعت العلاقات التجارية الفلسطينية مع الخارج، وعملت على تحويل المجتمع الفلسطيني إلى سوق استهلاكية للبضائع الصهيونية.

– إعادة تشكيل التحالفات: شهدت المنطقة إعادة تشكيل تحالفات وصراعات جديدة، حيث أصبحت بعض الدول تبحث عن مصالحها الاقتصادية على حساب القضايا السياسية التقليدية؛ ما قد يؤدي إلى تقليل الضغط على دولة الكيان أو حتى دعم قضاياها.

ولقد شهدت القضية الفلسطينية تطورات كبيرة على مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، أهمها:

– العملية السياسية: منذ انتهاء مفاوضات السلام في عام ٢٠١٤م، لم تُحقق أي اختراقات حقيقية، بينما تستمر محاولة الفلسطينيين الحصول على اعتراف دولي بدولة فلسطين، بما في ذلك الحصول على اعتراف في الأمم المتحدة.

– التوسع الاستيطاني: في السنوات الأخيرة، تزايدت وتيرة الاستيطان الصهيوني في الضفة الغربية؛ ما ساهم في تفاقم الوضع الإنساني وأوضاع اللاجئين الفلسطينيين.

– الاصطفاف الدولي: يختلف الموقف الدولي تجاه القضية الفلسطينية، حيث تدعم العديد من الدول حقوق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم، بينما تتبنى دول أخرى مواقف مؤيدة لدولة الكيان.

– تصعيد الصراعات: شهدت السنوات الأخيرة موجات من التصعيد، مثل التصعيد في غزة بين المقاومة الفلسطينية ودولة الكيان، وما أعقبه من تداعيات إنسانية واجتماعية.

كل ذلك أثَّر بشكل كبير على الوضع الراهن في الضفة الغربية وقطاع غزة، وزاد من سوء الأوضاع المعيشية والإنسانية على النحو التالي:

– يعيش الفلسطينيون في غزة تحت حصار صارم يعوق حياتهم اليومية، بينما تشهد الضفة الغربية تزايداً في عمليات الاعتقال والاقتحامات الصهيونية، ويعانون من معدلات بطالة مرتفعة، ونقص في الموارد؛ ما أدى إلى تدهور الظروف المعيشية.

– الانقسام الفلسطيني المستمر منذ ١٨ عاماً وتداعياته الخطيرة على مستقبل القضية الفلسطينية، والتفرد الصهيوني بغزة من جهة والضفة الغربية من جهة أخرى، يفرض الحاجة الملحّة لإنهائه كشرط أساسي لتحقيق تقدم في القضية الفلسطينية.

وتبقى القضية الفلسطينية تراوح مكانها طالما بقي الدعم الأمريكي والغربي الأوروبي اللامحدود لدولة الكيان، وطالما بقي العرب صامتين متفرجين لا يملكون من أوراق الضغط لتحريك ملف القضية الفلسطينية ضمن عملية السلام العربية، وتبقى تتأرجح بين عدة مآلات محتملة، منها:

– استمرار الوضع الراهن: إذا استمر التوتر الحالي؛ قد يزداد النزاع تعقيداً؛ ما يؤدي إلى تفاقم الأوضاع الإنسانية والسياسية.

– حل الدولتين: لا يزال هذا الخيار الأكثر اقتراحاً، إذا تمكّنت الأطراف المعنية من التوصل إلى توافقات حقيقية حول قضايا رئيسة، مثل حدود الدولة الفلسطينية والقدس واللاجئين.

– المزيد من الدعم الدولي: قد تسعى بعض الدول والمنظمات الدولية لتعزيز الجهود لخلق بيئة مواتية لحل النزاع، لكنه يتطلب وجود إرادة سياسية من جميع الأطراف.

– التغيير الديمغرافي والوصاية: قد تؤدي السياسات الصهيونية إلى تغيير ديمغرافي في المنطقة؛ ما يزيد من تعقيد الحلول المستقبلية. ■

التهجير الفلسطيني سياسة ترمب والصهيونية لتنفيذ «صفقة القرن» المشبوهة

لم يقتصر صدى تصريحات ترمب الأخيرة بشأن تهجير الفلسطينيين من قطاع غزة على الصعيد المحلي والإقليمي فحسب، بل تردد على صعيد عالمي، فتصريحاته بشأن نقل الفلسطينيين إلى الأردن ومصر، كجزء من حل القضية الفلسطينية، أثارت الكثير من الجدل، حيث تم تفسيرها على أنها دعوة لتهجير الفلسطينيين، أو نقلهم بالقوة إلى دول مجاورة بدلاً من أن يعيشوا في أراضيهم التاريخية.

هذه التصريحات العلنية والمتكررة تؤكد بشكل ضمني التناقض بين دعايته الانتخابية التي روّج لها فترة الانتخابات الرئاسية الأمريكية، وسياسته الدارجة بعد تنصيبه رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية، حيث بنى حملته الانتخابية على أساس تقليص دور أمريكا في الخارج، ولكن منذ تولّيه منصبه، صاغ رؤية عالمية توسّعية، لصالح حليفته الصهيونية، وعلى حساب القضية الفلسطينية

منذ تولّي ترمب صاغ رؤية توسّعية لصالح حليفته الصهيونية على حساب القضية الفلسطينية

ولا تنسجم مع مواقف المجتمع الدولي الذي يعترف بحق الفلسطينيين في إقامة دولتهم على أراضيهم، كما تعتبر مخالفة لحقوق الإنسان وقرارات الأمم المتحدة، خاصة فيما يتعلق بحق عودة اللاجئين الفلسطينيين.

تلك التصريحات واجهت رفضاً شديداً من السلطة الفلسطينية والدول العربية، حيث اعتُبرت محاولة لتصفية القضية الفلسطينية، وتغيير التركيبة السكانية في المنطقة بشكل غير قانوني، في حين أجمعت كافة ردود الفعل على رفض التصريحات بشكل قطعي، ووصفتها بغير الواقعية.

هذه التصريحات بشأن تهجير الفلسطينيين من غزة لم تأت من فراغ، ولكنها جاءت استكمالاً لرؤيته خلال فترته السابقة، التي كانت جزءاً من «صفقة القرن» المشبوهة التي قدمها في عام ٢٠٢٠م، التي اقترح فيها أن يتم توسيع الأراضي الصهيونية وضم بعض المناطق الفلسطينية إلى دولة الاحتلال.

صحيح أن اقتراحه لم يتضمن في حينها تهجيراً جماعياً للفلسطينيين من غزة أو مناطق أخرى بشكل صريح، ولكن من خلال التغييرات الإقليمية المقترحة في الخطة، كانت هناك إشارات إلى تغييرات في الحدود وتقسيم الأراضي، ولم يختلف الموقف الدولي والعربي الرافض حينها حول الخطة والرؤية الترمبية في السابق عن خطاب تجديدها.

لمعرفة مدى صدق تصريحات ترمب، نذكر القرارات التي اتخذها في ولايته السابقة تمهيداً لخطته وفرض «صفقة القرن» وأهمها: الاعتراف بالقدس عاصمة لدولة الاحتلال، ونقل السفارة الأمريكية إليها، وتقليص الدعم المالي الأمريكي

مواقف ترمب المناهضة للحقوق الفلسطينية كان لها تأثير في إغلاق أي آفاق لعملية السلام

لوكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا)؛ ما ساهم في تفاقم معاناة اللاجئين، والاعتراف بالاستيطان الصهيوني؛ الأمر الذي أعطى الضوء الأخضر لدولة الاحتلال لزيادة النشاط الاستيطاني في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وطرحه «صفقة القرن»، التي قدمت رؤية أحادية للصراع الفلسطيني- الصهيوني، حسب الرؤية الصهيونية.

اليوم، وفي أول قراراته المتعلقة بمستقبل القضية الفلسطينية، نسمع تصريحاته المتعلقة بغزة وسياسة تهجير سكانها وإنهاء القضية الفلسطينية، وتوسيع مساحة دولة الكيان على حساب الدول العربية المجاورة، وكأنها تأتي استكمالاً لمشروع «صفقة القرن».

تداعيات وتأثيرات

لقد عكست خطة ترمب في تصفية القضية الفلسطينية ضمن «صفقة القرن» وسياسة التهجير التي يتبناها العديد من التداعيات والتأثيرات على الفلسطينيين والدول المجاورة، منها:

- انهيار عملية السلام:

مواقف ترمب المناهضة للحقوق الفلسطينية في قضايا القدس والحدود واللاجئين، إلى جانب مواقف أخرى مثل ما سُمي بـ«صفقة القرن»، وآخرها التهجير، أدت إلى تعميق الخلافات بين الفلسطينيين والصهاينة، وكان لها تأثير كبير في إغلاق أي آفاق لعملية السلام بين الجانبين.

– تفاقم التباين بين الضفة الغربية وغزة

سياسات ترمب أدت إلى زيادة الفجوة بين الضفة الغربية وغزة، فبينما كانت السلطة الفلسطينية في الضفة الغربية ترفض المواقف الأمريكية وتتعامل مع الضغوط الدولية بشكل سلبي، كانت غزة لا تعترف بالقرارات الدولية الموجهة ضدها، هذه السياسات فاقمت الانقسام الفلسطيني الداخلي وزادت من عدم قدرة الفلسطينيين على التوحد في مواجهة التحديات.

- تصعيد المواقف العسكرية:

سياسات ترمب وفرت غطاءً سياسياً لدولة الاحتلال لتكثيف عملياتها العسكرية في غزة؛ ما أدى إلى مزيد من العنف الصهيوني ضد الفلسطينيين، وإلى تصعيد الأوضاع في غزة، وزيادة الخسائر في الأرواح وتدمير البنية التحتية في القطاع.

- التداعيات الإنسانية:

مواقف ترمب كانت لها آثار مدمرة على الوضع الإنساني في غزة والضفة الغربية، فتم تضييق الخناق على الفلسطينيين بشكل غير مسبوق، وتم تشديد الحصار الصهيوني على قطاع غزة؛ ما أدى إلى تفاقم الأوضاع المعيشية والإنسانية في القطاع.

- الضغط على الدول المجاورة:

الدول المجاورة لفلسطين، مثل مصر والأردن ولبنان وسورية، كانت تستضيف ملايين اللاجئين الفلسطينيين منذ عقود، وسياسة ترمب عززت الضغوط عليهم، بسبب تزايد معاناة الفلسطينيين، وقلة الدعم الدولي الذي كان يصل من خلال «الأونروا»، كذلك، فرضت سياسة ترمب مزيداً من التعقيد على البلدان التي كانت تعارض أي تهجير قسري أو محاولات لتوطين اللاجئين الفلسطينيين في أماكنهم، بدلاً من عودتهم إلى الأراضي الفلسطينية.

بين الضغط والرفض

من غير المحتمل أن ترضخ الدول العربية لفكرة تهجير الفلسطينيين من غزة، وذلك بسبب عدة عوامل تاريخية وسياسية وإنسانية، منها:

- الحقوق الفلسطينية:

القضية الفلسطينية تمثل جزءاً جوهرياً من هوية العديد من الدول العربية، وخاصة تلك التي تحتفظ بعلاقات تاريخية وثيقة مع الفلسطينيين، مثل الأردن ومصر وسورية ولبنان، هذه الدول لا تستطيع تجاهل حقوق الفلسطينيين في العودة إلى أراضيهم، التي تعد جزءاً أساسياً من الموقف العربي الرسمي.

- الضغوط الشعبية:

في معظم الدول العربية، لا تزال الشعوب تتضامن بشكل قوي مع الفلسطينيين، وأي خطوة نحو تهجير الفلسطينيين أو تصفية قضيتهم قد تؤدي إلى ردود فعل شعبية غاضبة، وستزيد من تصاعد الاحتجاجات والمظاهرات في الشوارع، وهذا يشكل ضغوطاً كبيرة على استقرار الحكومات العربية.

الدول العربية تحتفظ بموقف سياسي يتضمن حل الدولتين والتهجير القسري خطوة غير مقبولة

- أزمة غزة الإنسانية:

غزة تشهد بالفعل أزمة إنسانية شديدة بسبب الحصار الصهيوني المستمر والظروف الاقتصادية المتدهورة، وأي اقتراحات لتهجير أو نقل الفلسطينيين من غزة ستكون بمثابة إجراء قسري ومرفوض من جميع الجهات الإنسانية والدولية، حتى الدول العربية التي تحاول تحسين علاقاتها مع دولة الاحتلال لن تتمكن من تجاوز الضغوط السياسية والإنسانية التي تتطلب التزاماً بحل عادل للقضية الفلسطينية.

- تهديد الوجود الفلسطيني:

محاولة التهجير قد تُعتبر تهديداً للوجود الفلسطيني في غزة والضفة الغربية ككل، وهذه المنطقة التي هي جزء من تاريخ الفلسطينيين وهويتهم، لن تقبل ببساطة بتصفية القضية الفلسطينية من خلال تهجير سكانها.

- مواقف الدول العربية الرسمية:

حتى في ظل التقارب الأخير بين بعض الدول العربية ودولة الاحتلال من خلال اتفاقيات التطبيع، لا يبدو أن التحالفات الرسمية ستذهب بعيداً جداً في القبول بالتهجير القسري للفلسطينيين، فالدول العربية لا تزال تحتفظ بموقف سياسي يتضمن حل الدولتين كحل للمشكلة الفلسطينية، وما زالت ترى أن التهجير القسري للفلسطينيين سيكون خطوة غير مقبولة في السياق العربي بشكل عام.

- الالتزامات الدولية:

غالبية الدول العربية تخضع لقرارات الأمم المتحدة ذات الصلة، بما في ذلك قرارات حق عودة اللاجئين الفلسطينيين وحقهم في تقرير مصيرهم، وأي اتفاقية تروج لفكرة تهجير الفلسطينيين من غزة ستكون في تعارض مع القانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة؛ ما قد يعرض الدول العربية لضغوط دولية شديدة.■

د. إياد القطراوي

المفكر الفلسطيني د. مازن النجار لـ«المجتمع»: من الخطأ محاولة التوصل لحل وسط مع خطة ترمب

قال الأكاديمي والمفكر الفلسطيني د. مازن النجار: إن من الخطأ الشديد محاولة التوصل لحل وسط مع خطة الرئيس الأمريكي دونالد ترمب، بشأن احتلال غزة وتهجير أهلها، وربما لو تجاهلها العرب، واتخذوا موقفاً سليماً، سينسى ترمب مقترحه بعد بضعة أسابيع، ورأى النجار، في حوار لـ«المجتمع»، أن كل ما يثار عن التهجير وبدائله يستهدف تجريد أهل غزة من أي إنجاز حققته المقاومة، وجعلهم مرة أخرى شعباً منكوباً لا يطالب بحقوقه.

حوار – السنوسي محمد:

● كيف ترى خطة ترمب بشأن تهجير غزة؟

– في الحقيقة، خطة الرئيس الأمريكي دونالد ترمب هي التطور الطبيعي للمشروعات الاستيطانية، سواء في أمريكا الشمالية أو الجنوبية أو أستراليا أو جنوب أفريقيا أو الجزائر، فهذه الخطة، في مختلف الأماكن والأزمان، تبدأ بالاحتلال ثم العنف ثم الإبادة ثم التهجير، والعالم بالنسبة لترمب وللتيار السياسي الذي يمثله، تيار المستوطنين البيض، هو ساحة مستباحة! ومنذ ٥ قرون ذاقت البشرية الويلات من الاستعمار الأوروبي، الذي اجتاح حضارات ودمر قارات ومجتمعات، وخطف عشرات الملايين من غرب أفريقيا وأكثرهم مسلمون.

إن تهجير غزة اختزال لمشكلات عميقة، سياسية وحضارية وإستراتيجية، وتحويلها إلى «مسألة عقارية» بحسب رؤية ترمب! وهذا الاختزال، كما خلص د. عبدالوهاب المسيري، إحدى خصائص الرؤية المعرفية العلمانية الإمبريالية، التي تنكر التكريم الإلهي للإنسان واستخلافه في الأرض، وأي شريعة تحمي الإنسان من الإبادة أو الظلم والقهر، فهم يختزلون الظواهر الحضارية والبشرية، ويقومون بتنميطها بحيث ينزع المستعمِر عن المستعمَر صفة العقلانية والحضارة، ويتصوّره كائنات غريبة شاذة لا يصلح معها إلا العنف والقتل والإبادة!

فتهجير أهل غزة بالنسبة لترمب يبدو حلاً سهلاً! وسيناء التي تتجاوز مساحتها ٦٠ ألف كيلومتر مربع يمكن أن يُهجَّر إليها مليون، ومليون آخر إلى الأردن، وتصبح الأرض خالية للمشروع الإمبريالي الصهيوني لتحويلها لـ«ريفيرا

الشرق الأوسط»، هذه هي عقليتهم، دون أن يفكروا ماذا لو رفض أهل غزة التهجير، وتمسكوا بأرضهم!

● وكيف ترى رد الفعل العربي على خطة ترمب؟

– رد الفعل العربي سياسياً مقبول بالحد الأدنى، والبلدان المقصودان بالتهجير؛ مصر والأردن، ليس من مصلحتهما أن يرفعا عبئاً عن المشروع الصهيوني ورعاته في الإمبريالية العالمية، ويتحملا المسؤولية بدلاً عنه، والأمر طبعاً يزداد تعقيداً بالنسبة للأردن، وينبغي ألا تستسلم الدول العربية للضغوط عليها لقبول التهجير، فلسنا في موقف نقبل أن نُعامَل فيه معاملة المهزوم، كما قال القيادي في «حماس» أسامة حمدان.

لقد تحملت غزة خلال الـ٤٧١ يوماً من الحرب قدراً هائلاً من الدمار غير مسبوق في تاريخ القضية، ولا حتى في «النكبة» الأولى، ورغم ذلك رفض الغزيون التهجير، والمفارقة غير المقبولة، أن الكيان يحاول استخدام المفاوضات كأيديولوجية وتكتيك لتحقيق ما فشل به في الحرب!

● هل هناك فرصة لحلول بديلة تتلاقى مع خطة ترمب في المنتصف؟

– الحلول الوسط في هذا الصدد لا داعي لها ولا محل لها، ومن غير الممكن الالتقاء مع خطة ترمب بمنتصف الطريق؛ لأن ما اقترحه ترمب، أو ما سيقترحه العرب، سيؤدي لنزع سلاح المقاومة، وهو غير مقبول، ولا يليق بعربي أن ينزع سلاحه، خاصة إذا كان هذا السلاح شريفاً، لا يُشهَر إلا في وجه ظالم مغتصب.

لكن ما أخشاه هو أن يتخذ صناع القرار العربي موقفاً يشدد حصار غزة، وتُغلَق على أهلها سبل الحياة، عقاباً للغزيين على عدم الخضوع للخطة الأمريكية أو الخطة العربية.

ولهذا، من الخطل الشديد محاولة التوصل لحل وسط مع خطة ترمب؛ فهو متقلب، وربما لو تجاهلها العرب واتخذوا موقفاً سليماً بالحد الأدنى، سينسى ترمب مقترحه بعد بضعة أسابيع.

إن كل ما يثار عن التهجير وبدائله يراد منه تجريد أهل غزة من أي إنجاز حققته المقاومة، وجعلهم مرة أخرى شعباً منكوباً غارقاً في كارثة هائلة تصرفه عن المطالبة بحقوقه، ولهذا، فبعد هذه الحرب وما حققته المقاومة فيها من صمود وقدرات، فلا حديث عن الانسحاب من الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧م، ويفترض أن يكون المقترح العربي، ولا عن رفع الحصار، ولا عن حق أهل غزة في ميناء أو مطار.

فالكيان يريد أن يُبقي الفلسطيني إنساناً منكوباً، ومعاقبة الشعب على إنجازات المقاومة، رغم كل ما فعله بالقطاع وتدمير ما يتجاوز ٨٠٪ منه، وبنيته الأساسية وتجريف مظاهر الحياة المدنية، ولم يتورع عن إحراق المستشفيات! بل أصدر قوانين تجرّم وكالة غوث اللاجئين (أونروا) وتحظرها لئلا تكون هناك أي إغاثة تخفف ما وقع على الفلسطينيين من ظلم وعسف وتدمير.

● إذاً، خطة ترمب عن التهجير ربما هي «قنبلة دخان» للتغطية على الهدف الحقيقي وهو حصار المقاومة؟

– نعم، فما يجري بعد وقف إطلاق النار محاولة حصار نتائج «طوفان الأقصى» وتصفيتها بنداً بنداً؛ فمن ذلك، مثلاً، أن أهل غزة خرجوا بعد وقف إطلاق النار من تحت الأنقاض والغارات والإبادة اليومية، ليُصدموا بحجم الدمار الشامل، فهم في حالة ألم؛ ولهذا يريد الاحتلال أن يُبقي الصدمة والألم لابتزازهم، وذلك بمنع دخول الغذاء والدواء والوحدات السكنية المتنقلة ومعدات إزالة الأنقاض، وفي ذات الوقت، يطلق مشروعات التهجير أو فكرة «التهجير الطوعي»، ولا فرق بينهما فالمحصلة واحدة! فكل هذا محاصرة نتائج «طوفان الأقصى»، وإبطال ما تم إنجازه وما يترتب عليه، تحت ضغط الحاجات الإنسانية الضرورية.

● عملية «طوفان الأقصى» وما تلاها اخترقت الحاجز المفروض على شعوب الغرب واحتلت مساحة في وعيهم؛ فإلى أي مدى حدث هذا على المستوى السياسي؟

– تحقيق المكاسب حصل على مستوى الشعوب، حتى رأينا تعاطفاً من يهود غربيين وأمريكيين، بل وأسلم بعض الغربيين بعد أن أخذتهم الدهشة بسبب صمود أهل غزة فراحوا يبحثون عن سر إيمانهم.

أما على مستوى النخب الحاكمة فلم تحدث تحولات، رغم فظاعة ما جرى من تدمير وإبادة؛ بل حدثت ارتدادات! فمثلاً، في ضوء الإبادة الجارية، أصدرت المحكمة الجنائية الدولية قراراً باعتقال نتنياهو ووزير دفاعه غالانت، وأصدرت محكمة العدل الدولية قراراً بإيقاف القتال وإيقاف تسليح «إسرائيل»؛ لكن في اليوم التالي، نرى المستشار الألماني يقول: إنهم سيستمرون في إرسال الأسلحة لـ«إسرائيل»!

اللافت، أن أحد المحللين «الإسرائيليين»، ألون مزراحي، فضح هذا الانحياز الغربي، وقال: إن النخب الغربية ليس لديها الشجاعة لتفسر مواقفها من الإبادة في غزة؛ لأنها كلها تهتدي– أو بالأحرى: تضل– بقصص العهد القديم التي تُظهر العبرانيين يقومون بالإبادة ويحرقون القرى ويقتلون البشر ويدمون آبار المياه، كما جاء بـ«سفر التكوين»؛ ما مثل لهم تراثاً يتبع في تعاملهم مع الشعوب الأصلية للمستعمرات والمستوطنات، والمشروع الإمبريالي إجمالاً يقوم على هذه التبريرات أو الديباجات.

أي أنه لا أمل في أن تقف هذه النخب ولو مرة واحدة مع العدالة أو مع حرمة النفس البشرية أو تعارض الإبادة، رغم كل هذه المعاهدات والقرارات الدولية التي أقرّوها بأنفسهم!■

على الرغم من الظروف الصعبة التي يعيش فيها أكثر من ٦ ملايين فلسطيني في مخيمات اللاجئين، فإن أبناءها يتمسكون بأمل العودة الحتمية لأرض الأجداد الذين غرسوا جذورهم فيها كأشجار الزيتون، التي فشل الاحتلال الصهيوني في اقتلاعها، ليسطر الفلسطينيون ملحمة للعودة في غزة بعد اتفاق وقف إطلاق النار، وهم يرفعون شعار «لا للتهجير».

حول ظروف وأحوال النازحين في المخيمات، ومخططات التهجير، وحق العودة، كان لـ«المجتمع» هذا الحوار مع د. آمال الأغا، رئيسة اتحاد المرأة الفلسطينية بالقاهرة.

رئيسة اتحاد المرأة الفلسطينية بالقاهرة

آمال الأغا لـ«المجتمع»: نحن نُرضع أبناءنا حق العودة

حوار- أحمد جمال:

● كم يبلغ عدد اللاجئين الفلسطينيين الذين تقدم لهم «الأونروا» خدماتها؟

- تؤكد الإحصاءات أن الوكالة الأممية عندما بدأت عملها عام ١٩٥٠م، كانت تخدم حوالي ٧٥٠ ألف لاجئ من أبناء شعبنا المنكوب، أما الآن فتخدم أكثر من ٦ ملايين في قطاع غزة والضفة الغربية بما فيها القدس الشرقية، والأردن، ولبنان، وسورية الذين تنطبق عليهم مواصفات لاجئ وفق تعريف اللاجئين في اتفاقية عام ١٩٥١م للاجئين التي أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة.

● من الذين ينطبق عليهم صفة اللاجئين الفلسطينيين؟

- وفقاً لتعريف «الأونروا»، فإن من ينطبق عليهم مسمى «اللاجئون الفلسطينيون» هم أبناء شعبنا الذين كانوا يقيمون في أرضنا التاريخية ما بين يونيو ١٩٤٦ وحتى مايو ١٩٤٨م، وتسببت النكبة في فقدهم بيوتهم، والوسائل الكريمة لمعيشتهم بسبب العدوان الصهيوني على شعبنا عام ١٩٤٨م، ومنحت «الأونروا» للاجئين وذريتهم حق التسجيل لديها للحصول على خدمات في مناطق عملياتها في مخيماتها داخل الأراضي الفلسطينية وخارجها في الدول المحيطة حتى يتم التوصل إلى حل سياسي عادل ودائم يعالج محنتهم من خلال دولة مستقلة.

والطريف أن فكرة إنشاء وكالة الأمم المتحدة لتكون معنية بمساعدة اللاجئين، وتُعرف باسم مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية بهدف مساعدة الأوروبيين الذين شردهم الصراع بين الدول الكبرى التي شاركت في الحرب التي قتلت وشردت عشرات الملايين.

● كيف نشأت فكرة المخيمات التي يعيش فيها الملايين من أبناء الشعب الفلسطيني؟

- نشأت المخيمات ليعيش فيها أبناء شعبنا المشردون بسبب الاحتلال الصهيوني الذي عمل على قتل وطرد وتهجير أبناء شعبنا، فتم إنشاء المخيمات لتأوي المشردين بسبب النكبة وما تلاها من حروب ومجازر ضد شعبنا في كل فلسطين التاريخية، رغم عدم استقرار الأوضاع بشكل عام، فإن سكانها يحاولون الاستقرار والتأقلم مع الوضع غير الطبيعي، وكلهم أمل في العودة مهما طال الزمن؛ لأن حق العودة للأراضي المغتصبة أو المحتلة لا يسقط بالتقادم لأن الأجيال تتوارثه.

يبلغ عدد المخيمات ٦٨ مخيماً، منها ٥٨ رسمية، و١٠ غير رسمية، وغالبيتها أنشئت بعد النكبة، و١٠ منها أنشئت بعد حرب عام ١٩٦٧م، ويعيش ثلث اللاجئين المسجلين فقط داخل المخيمات، نتيجة

اندماج بعضهم اجتماعياً واقتصادياً خارج حدود المخيمات في مناطق مجاورة.

● كيف ترسخون لدى سكان المخيمات حق العودة؟

– الجميع يحلم بالعودة ويحتفظ بمفاتيح بيته، كل أهل قرية أو مدينة يعيشون بجوار بعضهم بعضاً، يكتسبون قوتهم وصمودهم بسرد حكاياتهم وقصصهم عن فلسطين، ترويها الأم الفلسطينية لأبنائها حتى يحفظوا ويتذكروا أنهم أصحاب الأرض الأصليون، تعلّم الأم بناتها التطريز الفلسطيني وتطرز حكايتها على الثوب الكنعاني بتاريخه العريق وألوان ورسومات مستوحاة من البيئة الفلسطينية بسهولها ووديانها وصحرائها وبحرها، وأيضاً برموز كنعانية وفلسطينية عريقة، وتحافظ على تراثها في الأعياد، وتحيي المواسم الفلسطينية بأكلاتها، كل ذلك مع حرصها على تعليم أبنائها؛ لأنه السلاح الوحيد لمواجهة أعباء الحياة، وقد خرج من المخيمات الكتّاب والأدباء والعلماء الذين أثّروا في العالم، وكان التعليم مجال فخر لكل فلسطيني وفلسطينية بحرص وإصرار من الأم الفلسطينية.

● لكن هناك صعوبات تلاحق عملية التربية لأبناء المخيمات، فكيف تتعاملون معها؟

– لا شك أن المخيمات ليست البيئة المثالية لتربية الأطفال، إلا أن أبناء شعبنا من الرجال والنساء كلهم تصميم على تربية أبنائهم بشكل مختلف عن غيرهم من أبناء الشعوب الأخرى، وأهم المبادئ التي يتم غرسها في نفوس أجيالنا، أنه لا يأس مع الحياة، وأن مهما طالت فترة الظلام لا بد من طلوع الفجر، وكلما اشتد الظلام فإنه يبشرنا بقرب انتهاء الغمة وبزوغ فجر الحرية.

نحن نرسخ في نفوس أبنائنا الثقة في نصر الله والعودة لأرضنا وتحرير المقدسات الإسلامية والمسيحية من براثن الاحتلال الغاشم، وهذه الثقة ليست ضرباً من الخيال، بل إنها بشارة نبوية لا بد أن تتحقق، حيث قال صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك»، قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: «ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس»، ولهذا فإن الحرص على التربية الدينية الإسلامية والمسيحية أمر مهم للأسرة الفلسطينية، وخاصة أن العدوان الصهيوني يحتل مقدساتنا الإسلامية والمسيحية، ولم يتوقف عن التعدي عليها بكل الوسائل.

● كيف تـــرون الموقف بعـــد «طوفان الأقصى»؟

– كلما زاد العدوان زاد التمسك بحتمية تحرير المقدسات ودحر العدوان الجبان الذي يفتقد أبناؤه الانتماء لهذه الأرض، بدليل أن كل واحد منهم يحمل جنسيات أخرى، وسرعان ما يهرب إلى الدولة التي جاء منها وقت الأزمات، وهذا ما حدث بعد «طوفان الأقصى»، على عكس شعبنا الذي تزيده الأزمات والمجازر تمسكاً بأرضه؛ لأن جذوره راسخة فيها عبر آلاف السنين، ومشاهد عودتهم إلى شمال غزة مؤخراً رغم الدمار الشامل خير شاهد على ذلك، على عكس أجيال الصهاينة فهم غرس شيطاني استعماري ليس لديه انتماء وقدرة على التضحية بالنفس والمال من أجلها.

● بماذا يتسلح أبناء المخيمات للحفاظ على قضيتهم؟

– الإيمان بأن التعليم هو السلاح الفعال الذي يجب أن يتسلح به أبناؤنا ليحافظوا على هويتهم وقضيتهم العادلة حتى يعودوا لأرضهم التاريخية، وقد أثبتت العديد من الدراسات أن الشعب الفلسطيني من أكثر الشعوب العربية حرصاً على إتقان التعليم؛ لأنه بالنسبة له مسألة حياة أو موت، كما تحرص أسر المخيمات على توعية أبنائها بتاريخ قضيتهم العادلة عن طريق القصص والحكايات التي تتناقلها الأجيال منذ بداية النكبة حتى الآن، مع التأكيد على أنه من ليس له ماض ولا تاريخ، فليس له حاضر ولا مستقبل.

● ما دور خنساوات فلسطين في ترسيخ عقيدة العودة لفلسطين التاريخية من البحر إلى النهر؟

– من المقولات الشهيرة عن دور خنساوات فلسطين أن كل واحدة منهن «عمود الخيمة»؛ لأنها لا تكتفي بدورها كأي أم بالرضاعة الطبيعية فقط، وإنما تُرضع أولادها حب الدين والوطن والتضحية من أجله وحق العودة لأرضه، وتروي له بطولات وتضحيات أجداده وجداته، وآبائه وأمهاته، وأعمامه وعماته، وأخواله وخالاته، والقائمة طويلة جداً؛ لأن شعبنا في المخيمات يعيشون في تلاحم اجتماعي وتقارب عائلي، وتكثر الزيجات داخله؛ ما يزيد من قوة لحمته وتماسكه حتى أصبحوا مستعصين على الاستسلام، يؤمنون بأن كثرة الإنجاب وحسن التربية للأجيال من أسلحة المستقبل في حرب وجود لا حدود.

هناك الآن نموذج جبار؛ هو نموذج الجهاد في فلسطين، الذي يعمل منذ ٧ أكتوبر ٢٠٢٣م حتى اليوم، في غزة والضفة الغربية، حتى دفع «إسرائيل» إلى اللجوء إلى السلطة الفلسطينية كي تقاتل مكانها في الضفة، وهو أمر يعني إفلاس «إسرائيل» وجيشها. ■

الأَسْـر بين الصهيوني والفلسطيني.. مفهوم متناقض يختصر جوهر الصراع

طارق الشايع

في قلب الصراع الممتد بين مشروع الاحتلال الصهيوني والشعب الفلسطيني، تتجلى مفارقة حادة في النظرة إلى الأسر والأسرى، ليس فقط كحدث عابر، بل كمعنى يُعبّر عن فلسفة الحياة والموت، عن الهوية والقيم، وعن مكانة الإنسان في معركة الإرادة بين الحق والباطل.

فبينما يحمل الأسر في وعي الصهيوني معاني الخذلان والانكسار، يتجذر في الوجدان الفلسطيني كوسام شرف ومحطة من محطات النضال، هذه التناقضات لا تأتي من فراغ، بل تعكس جوهر المشروعين المتصارعين؛ مشروع قائم على الهيمنة والخوف من الانكشاف، وآخر قائم على التضحية والصمود في وجه المحتل.

الصهيوني.. هل يرى أسراه أبطالاً؟!

الصهيوني لا يرى أسراه أبطالاً، وإنما ضحايا نظامه الأمني الذي وعده بالأمان المطلق وعجز عن تحقيقه، فالأسر لدى الاحتلال ليس مجرد مأساة فردية، بل فضيحة وطنية تهزّ صورة «الدولة التي لا تُقهر»، وتجعل المجتمع الصهيوني يواجه هشاشته أمام مقاومة لا تملك أي شيء يذكر أمام إمكاناته العسكرية؛ ولكنها تمتلك ما لا يستطيع امتلاكه؛ الإيمان والتضحية.

حين يقع الجندي الصهيوني في الأسر، يبدأ التعامل معه كحالة طارئة يجب إنهاؤها بأي ثمن، ليس من باب التقدير لشخصه ومكانته لدى الكيان المحتل، وإنما للحفاظ على تماسك الجبهة الداخلية التي ترتعب من فكرة أن مقاتلي المقاومة استطاعوا اختراق خطوطه الدفاعية وأخذ أسرى من وسطه؛ لذا، تتحول قضية الأسير الصهيوني إلى ورقة ضغط سياسي أكثر منها قضية فخر واعتزاز، إذ يُستخدم الأسرى كأدوات لاستعادة الثقة المهزوزة في جيش الاحتلال حكومته.

ولعلّ أبرز مثال على ذلك هو جلعاد شاليط، الجندي الذي ظلّ في قبضة المقاومة الفلسطينية لخمس سنوات قبل أن يُطلق سراحه في صفقة تبادل تاريخية عام ٢٠١١م، عند عودته، لم يكن استقبال الصهاينة له استقبال الأبطال، بل كان استقبالاً مشوباً بالشفقة، لم يُنظر إليه كمقاتل صمد بشرف، بل كضحية تحتاج للعلاج النفسي وإعادة التأهيل، حتى الإعلام الصهيوني ركّز على حالته النفسية المتدهورة، وعلى الصدمة التي عانى منها، أكثر من تصويره كرمز للقوة أو الصمود.

واليوم، مع أسر مئات من الصهاينة في ملحمة «طوفان الأقصى»، يتكرر المشهد ذاته لكن بصورة أكثر تعقيداً وألماً للمجتمع الصهيوني، فهذه المرة لم يقتصر الأسر على الجنود فقط، بل شمل مستوطنين ومدنيين؛ ما زاد من وقع الصدمة داخل الكيان، فالصهيوني بطبيعته لا يقدّس التضحية؛ لأن مشروعه الاستعماري قائم على مبدأ «الحياة فوق كل شيء»، ولذلك فإن من يقع في الأسر يصبح رمزًا لفشل النظام العسكري لا لنضاله، أما الأبطال الحقيقيون لديهم، فهم الطيارون الذين يلقون بالقنابل من مسافات آمنة، والقادة الذين يوجّهون المجازر من خلف الشاشات، وليس أولئك الذين سقطوا في يد المقاومة.

الفلسطيني.. الأسير هو التاج الذي يزين رأس القضية:

على النقيض من ذلك، لا يُنظر إلى الأسر في الوعي الفلسطيني كعار أو خسارة، بل كجزء من المسيرة الطويلة في طريق التحرير، الأسير الفلسطيني هو ابن الأرض التي تأبى الانكسار، وهو الامتداد الحي لتاريخ المقاومة منذ أن بدأ الاحتلال، الأسر لا يعني نهاية النضال، بل استمراره في جبهة جديدة، حيث يتحول السجن إلى مدرسة، والأسير إلى قائد، والزنزانة إلى منبر يُصنع منه فكر المقاومة وأدبياتها.

حين يتحرر الأسير الفلسطيني لا يعود منكس الرأس أو مطأطئ الهامة، بل يعود محمولاً على الأكتاف، يلقى استقبال الأبطال، وتُقام له الاحتفالات، ويُستقبل في الميادين كمعلّم للأجيال، فهو لم يكن في نزهة، ولم يقع في الأسر لأنه خان أو هرب، بل لأنه واجه الاحتلال بكل ما يملك حتى اللحظة الأخيرة.

ولذلك، الأسرى الفلسطينيون المحررون لا يتلاشون في الظل كما يحدث للصهاينة، بل يتحولون إلى قادة سياسيين وعسكريين، وإلى رموز يستلهم منها الجيل القادم معاني الصمود.

الأَسْر.. صورة مصغّرة عن معركة الإرادة:

هذا الفارق العميق بين نظرة الصهيوني والفلسطيني إلى الأسر يعكس الفارق بين مشروعين متناقضين؛ مشروع قائم على الاحتلال والخوف من زواله، يرتعب من أي اختراق لصورة التفوق الوهمي التي صنعها لنفسه، ومشروع مقاومة يعلم أن الطريق إلى الحرية مليء بالعقبات، لكنه لا يرى في الأسر إلا خطوة أخرى نحو النصر المحتوم.

الأسير الصهيوني يُعامَل كعبء يجب التخلص منه، أما الأسير الفلسطيني فهو بطل يُنتظر عودته بفارغ الصبر، الصهيوني يخشى الأسر لأنه يعني له الفشل والانكشاف، بينما الفلسطيني يحتضن الأسرى كجزء من تاريخه النضالي الممتد، وهذه الحقيقة وحدها تكشف لنا أي المشروعين هو الذي سيبقى.■

القرصان الأحمق !
غزة

جذورنا ثابتة في التراب ...

رمضان المبارك 1446هـ.. و«طوفان الأقصى»

أ.د. وصفي عاشور أبو زيد
أستاذ مقاصد الشريعة

من المسلَّم به تاريخياً أن رمضان شهر انتصارات؛ فعلى حين يعد كثير من الناس رمضان شهراً للراحة والدَّعة، وتقليل ساعات العمل، وتقليص المهام، وترك الأعمال الثقيلة لما بعد رمضان، وإشغال النفس بالأعمال الخفيفة، رغم قيام الناس بذلك وبخاصة المسلمون؛ فإن التاريخ سطَّر لنا انتصارات المسلمين في رمضان.

فقد رأينا غزوة «بدر» الكبرى التي تحول بها تاريخ المسلمين، وكانت في ١٧ رمضان ٢هـ، وفتح مكة (٢٠ رمضان ٨هـ)، ومعركة القادسية (رمضان ١٥هـ) بقيادة سعد بن أبي وقاص، وفتح بلاد الأندلس (رمضان ٩٢هـ) بقيادة طارق بن زياد، ومعركة الزلاقة، وهي في جنوب دولة إسبانيا حالياً (رمضان ٤٧٩هـ)، ومعركة عين جالوت (رمضان ٦٨٥هـ) بقيادة السلطان المظفر قطز، والقائد العسكري المتمرس بيبرس، وموقعة حطين (رمضان ٥٨٤هـ) بقيادة القائد العظيم صلاح الدين الأيوبي.

ثم حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣م (١٠ رمضان ١٣٩٣هـ)، وفيها تمكنت القوات العربية المسلمة من الانتصار على القوات الصهيونية الغاصبة، فعبرت الجيوش العربية قناة السويس، وحطمت أسطورة الجيش «الإسرائيلي» الذي لا يُقهر، وهدموا بحمد الله «خط بارليف».. حتى جاءت معركة «طوفان الأقصى».

رمضان شهر انتصارات.. بدر وفتح مكة والقادسية والزلاقة وعين جالوت وحطين والسادس من أكتوبر

معركة «طوفان الأقصى»

وظلت الأمة العربية المسلمة ما يقرب من نصف قرن؛ حيث تركت الجهاد وتبعت أذناب البقر، وتبايعت بالعينة، فكتب الله عليها الذل؛ مصداقاً لما أخرجه أبو داود، والطبراني، وغيرهما بسندهم، عن عبدالله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا تبايعتُم بالعِينة وأخذتم أذنابَ البقر، ورضيتُم بالزرع، وتركتمُ الجهادَ، سلَّطَ اللهُ عليكم ذُلًّا لا ينزعُه حتى ترجعوا إلى دِينِكم»[1].

ظلت الأمة نصف قرن من الزمان تاركة الجهاد في سبيل الله، ومتبايعة بالعينة، بل بالربا الصريح وما تزال، حتى قامت ثلة مباركة في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، فعن أبي أمامة الباهلي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تَزالُ طائفةٌ من أُمَّتي على الدِّينِ ظاهرينَ لعَدوِّهم قاهرينَ، لا يَضُرُّهم مَن خالَفَهم، إلَّا ما أصابَهم من لأْواءَ حتى يَأتيَهم أمْرُ اللهِ وهم كذلك»، قالوا: يا رسولَ اللهِ، وأين هم؟ قال: «ببَيتِ المَقدسِ وأكنافِ بَيتِ المَقدسِ»[2].

قامت هذه الثلة بغسل هذا العار، وبالنيابة عن الأمة في مراجعة دينها،

فتصدت للعدو الأشرس في تاريخها؛ ذلك العدو الذي رسم لنفسه صورة القوة التي لا تُقهر، والجيش الذي لا يُغلب، والترسانة النووية التي لا يمكن لأحد أن يفكر في مواجهتها والوقوف أمامها؛ فضلاً عن جهادها وتمريغ أنفها في التراب، وإساءة وجهها أمام العالم كله.

قامت كتائب المقاومة في ٧ أكتوبر ٢٠٢٣م بما أعاد للأمة توازنها، وجدّد صلتها بعقيدتها وإيمانها، وعزز صلتها بكتاب ربها وسُنة نبيها، وأعاد لها الوعي العميق بتاريخها وحضارتها، ووثق ثقتها بنفسها، وصحح لها كثيراً من المفاهيم التي كانت راكدة مدة نصف قرن، بل كانت مغلوطة على كثير من المستويات وفي عدد من المجالات.

مجموعة من الجنود لا يتجاوزون ١٥٠٠ جندي مجاهد، خرجوا جميعاً لم يتخلف منهم واحد حين فاتحتهم القيادة في الأمر، خرجوا من تحت الأرض إلى سطحها، وضربوا العدو ضربة أصيب معها بالدوار، وما يزال لم يفق من آثار هذه الضربة، بل أصيب العالم المتصهين في مقتل، فأجلب بخيله ورَجِله، وماله وعتاده، وزياراته ودعمه المادي والمعنوي، وأنفق مئات ملايين الدولارات على العدو، ولكن صدق قول الله تعالى في هذا كله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٦).

يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي: «أي: فسيصدرون هذه النفقة، وتخف عليهم لتمسكهم بالباطل، وشدة بغضهم للحق، ولكنها ستكون عليهم حسرة؛ أي: ندامة وخزياً وذلا، ويغلبون فتذهب أموالهم وما أملوا، ويعذبون في الآخرة أشد العذاب، ولهذا قال: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ)؛ أي: يجمعون إليها، ليذوقوا عذابها، وذلك لأنها دار الخبث والخبثاء»[٣].

رمضان في ظل الطوفان

لقد مر على معركة «طوفان الأقصى» رمضان واحد، وفلسطين والأمة في هذه المحنة الشديدة التي تجسدت فيها منحٌ، وظل المجاهدون مرابطين على ثغورهم، وشعوب المسلمين يتجاوبون مع هذا الجهاد المبارك بقدر استطاعتها لولا تكبيل يدها بكوابح الاستبداد ومنع النصرة، فحشدت

الأمة ظلت نصف قرن تاركة الجهاد حتى قامت ثلة مباركة ببيت المقدس فتصدت للعدو الأشرس في تاريخها

إنْ كان المجاهدون قاموا بطوفان مسلح فإنَّ من الواجب علينا أن نقوم بطوفان آخر وهو العون والإسناد

الأمة ما استطاعت، وجمعت من الأموال ما قدرت عليه، وتضامنت على قدر طاقتها في ظل ما تحياه من حدود «سايكس بيكو» التي فرقت الأمة، وأقامت الحواجز والجدران للحيلولة دون أن يكون مفهوم «الأمة الواحدة» تجسيداً عملياً على الأرض.

وفي هذا العام (رمضان ١٤٤٦هـ) وقد بدأت الهدنة، وبدأ تنفيذها على الأرض، فما الواجب علينا في ظل ما عشناه، وما نراه اليوم؟

إن واجبنا أن نقوم بطوفان جديد، من نوع آخر؛ فإذا كان المجاهدون قاموا بطوفان مسلح، مثَّلوا فيه الأمة خير تمثيل باستخدام سلاحهم، وتقديم أرواحهم ودمائهم، وبذل عذاباتهم ومعاناتهم، وما يزالون، فإنه من الواجب علينا أن نقوم بطوفان آخر، وهو طوفان العون والإسناد، طوفان القيام بواجب المؤازرة والمعاونة والمساندة، وتجسيد ما أخرجه البخاري، ومسلم، بسندهما، عن عبدالله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المُسْلِمُ أخُو المُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ ولا يُسْلِمُهُ، ومَن كانَ في حاجَةِ أخِيهِ كانَ اللَّهُ في حاجَتِه، ومَن فَرَّجَ عن مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عنْه كُرْبَةً مِن كُرُباتِ يَومِ القِيامَةِ، ومَن سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَومَ القِيامَةِ»[٤].

إن غزة تنادي المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، بل تنادي البشرية كلها أن يقوموا بواجبهم الإنساني نحو غزة المحطمة، التي لم يترك فيها العدو بناء قائماً، وإنما خربها ودمرها وجعلها أطلالاً، وإن لم يقدر على تحطيم قوة الإيمان، ورابطة الإسلام، ومعاني العزة والجهاد التي رأيناها على منصات تبادل الأسرى؛ روحاً وثابة، وعزة شامخة، ومغالبة للقرح الذي أصابهم، لكنه لم ينل من قوة إيمانهم، وصلابة دينهم.

غزة اليوم تحتاج إلى الإسناد والإعمار والعون والتأييد؛ لأننا سنشهد في الأيام القادمة تجديداً لهذه المعركة مرة أخرى -كما يبدو من ممارسات العدو وتصريحاته ومعاونيه- ولهذا فالواجب علينا أن نكون سنداً لهم وعوناً لقضيتنا وقضيتهم، وألا نخذلهم أو نُسْلمهم؛ فإن لهذا أثره في دفعهم للأمام، وفي تقوية عزمهم، وإشعارهم بأن لهم إخوة لن يتركوهم، ولن يُسْلموهم، وهذا مما يشد أزرهم ويقوي بأسهم في مواجهة هذا العدو، والدال على الخير كفاعله، ومن خلَّف غازياً في أهله بخير فقد غزا، والمؤمنون إخوة، والله في عون العبد ما كان في عون أخيه.■

الهوامش

(١) أخرجه أبو داود (٣٤٦٢)، والبزار (٥٨٨٧)، والطبراني في مسند الشاميين (٢٤١٧)، ابن تيمية، بيان الدليل (١٠٩): إسناده صحيح.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٢٣٢٠)، وقال الأرناؤوط: صحيح لغيره.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٣/ ٦١٨)، طبعة دار ابن الجوزي.

(٤) صحيح البخاري (٢٤٤٢)، وصحيح

رمضان.. وعوائد الخير

عن معاوية بن أبي سفيان قال: سَمِعْتُ النبيَّ صَلَّى اللَّه عليه وسلَّمَ يقولُ: «الخيرُ عادةٌ والشَّرُّ لَجاجةٌ ومن يردِ اللَّه به خيراً يفقهُه في الدِّين» (أخرجه ابن ماجه (٢٢١)، وابن حبان (٣١٠)، وأصله في الصحيحين)، وهذا الحديث الشريف يصلح تلخيصاً لرسالة رمضان، فالله تعالى يريد لعوائد الخير أن تكون عنوان المجتمع المسلم، وأن تتكرر هذه العوائد الطيبة حتى تتقرر وتصبح هوية مستقرة لأهل الإسلام، ويريد أن يخلّص المجتمع المسلم في الوقت ذاته من عادات السوء وينفيها عنه حتى يتطهر من دنسها.

د. حاتم عبدالعظيم
أستاذ الفقه الإسلامي وأصوله

إحدى وظائف شهر رمضان أنه يرسم لحياتنا نسقاً جديداً ومنظومة عادات جديدة تنفي الخبث وتبني الخير في أعماق النفوس وفي ميادين الحياة على السواء؛ عادات تقوم على التخفف من الدنيا إلا زاداً كزاد المسافر والإقبال على الآخرة بطاقة القلب، عادات تقوم على التسامح والتغافر والتواصل والتواد بين المسلمين.

إن رمضان بمثابة ميلاد جديد للنفس البشرية وميلاد للمجتمع كله، ميلاد يملأ الحياة بعادات الخير ويخليها من عادات الشر؛ حيث ينادي الملك من ملأ الله الأعلى فتسمعه القلوب الصافية وهو يهتف: «يا باغي الخير أقبل»، فالزمان زمانك، ورمضان موعدك، والملائكة شهودك، والريان بابك إلى جنات الخلود.

الخير عادة يكون في أوله ثقيلاً على النفس، لكن إذا عودتها تعودت حتى يصير طبعاً لها لا تجد فيه حرجاً ولا مشقة، وها أنت تصوم ثلاثين يوماً فتعتاد النفس الصوم حتى لا تكاد تتكلف له مشقة، وكذلك كل خير في حياتك تكلف له مشقة البداية حتى تعتاده فلا تجد له مشقة.

الخير عادة، فلم يولد أحدنا عالماً ولا منفقاً ولا محسناً ولا صواماً ولا قواماً، لكنّ هناك من جاهد نفسه حتى استقامت على هذه الفضائل، وهناك من دساها فبقيت ترعى في مراتع الوخم

إحدى وظائف رمضان أنه يرسم منظومة عادات جديدة تنفي الخبث وتبني الخير في أعماق النفوس

وفاتتها غنائم الآخرة.

كان ابن عباس يقول: إنا لنجد على أموالنا مثل الذي يجدون غير أننا نصبر! أي: تنازعنا نفوسنا بحبها للمال ألا ننفقه في سبيل الله كما يجد البخلاء من نفوسهم غير أننا نغلبها بالصبر والاحتساب!

الخير عادة، فليس من تدرب وتمرن ومارس وداوم كمن قعد في مكانه وتمنى على الله الأماني! فما جاء رمضان إلا ليعودنا عوائد الخير ويضع أقدامنا على طريق الصلاح، حتى نبدأ في رمضان ونستمر بعده على عوائده الطيبة ليكون رمضان كما أراده الله ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ (البقرة: ١٨٥).

موسم الهداية الأكبر

وقد أراد الله عز وجل أن يكون رمضان موعداً للهداية، فأنزل فيه الكتب السماوية على أنبيائه تباعاً، ففي المسند عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين خلت من رمضان»، قال البيهقي: قال الحليمي رحمه الله: يريد به ليلة خمس وعشرين.

ولذلك دلالات، منها أن الله عز وجل أراد أن يكون رمضان موسماً للهدايات الكبرى والتغييرات العظمى وانتقال البشرية من حالات التيه والضلال إلى الإيمان والاستقرار، ويستفاد من ذلك أن رمضان هو أنسب الأوقات للتغييرات الكبرى على مستوى النفس والأسرة والمجتمع كما جرت سُنة الله في خلقه ومضت إرادته في عباده.

فبادر في رمضان إلى كل خير عجزت عنه، وإنك بإذن الله بالغه، وبادر إلى كل ما ضعفت عن تركه من هوى أو معصية أو تقصير، فإنك بإذن الله تاركه، استصحب معك في

الله تعالى أراد أن يكون رمضان موعداً للهداية فأنزل فيه الكتب السماوية على أنبيائه تباعاً

رحلة التغيير الكبرى دافعية شرف الزمان وتاريخه الوضيء من تنزل الرسالات وابتداء الوحي مرة بعد مرة، وإحداث التغييرات العظمى في حياة البشر، وصل حياتك بهذا العالم المشرق، وكن جزءاً من منظومة التغيير الكبير.

وثق أن نفسك في هذا الزمان الفضيل أقرب ما تكون إلى هداها، وأدنى ما تكون من تقواها، وأقدر ما تكون على هواها؛ فلا تضيّع الفرصة، فإنك تعيش أيام الهدى، بل أيام بيّنات الهدى والفرقان.

رمضان والقرآن

وإذا كان مقصود رمضان دلالتك على الهدى ثم تعويدك عليه فإن القرآن هو أصل الهداية ومبتدؤها وخبرها، وثمة علاقة فريدة وتلازم عجيب بين رمضان والقرآن الكريم، تلازم ممتد من نقطة البداية إلى محطة الختام؛ فابتداء كان نزول

رمضان موسم للهدايات الكبرى والتغييرات العظمى وانتقال البشرية من التيه والضلال إلى الإيمان

القرآن -كما كل الكتب السماوية- في رمضان، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ (البقرة: ١٨٥)، وقال: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر: ١)، وقال: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ (الدخان: ٣).

وقد نزل القرآن في رمضان مرتين؛ الأولى من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا تمهيداً لنزوله إلى الأرض، ثم كانت الأخرى عندما بدأ تنزل الروح الأمين بالوحي الكريم على قلب النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر، وهما مشهدان فريدان لا مثيل لهما في تاريخ الحياة البشرية.

وبعد النزول كان جبريل يدارس النبي صلى الله عليه وسلم القرآن ويراجعه إياه في كل ليلة من رمضان حتى تتم له عرضة كاملة، حتى كان آخر عام من عمره المبارك فعارضه جبريل في رمضان بالقرآن مرتين.

وفي رمضان من كل عام ينزل جبريل وتتنزل ملائكة السماء إلى الأرض لتشهد صلوات المؤمنين وتستمتع بسماع الآي المبين؛ ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ (القدر: ٤).

وفي رمضان تتعلق النفوس المسلمة بالقرآن تعلقاً عظيماً، وتُقبل عليه وتنشط له على نحو لا يتحقق في أي وقت غيره، وهذا الارتباط الوثيق يظل ممتداً إلى يوم القيامة، فيترافق الأنوران؛ رمضان والقرآن، في الشفاعة لصاحبهما، قال صلى الله عليه وسلم: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان» (رواه أحمد).

فلنعش مع القرآن في نهار رمضان وليله؛ تلاوة وتدبراً وفهماً ومراجعة، لعله يروي نفوسنا العطشى إلى وحي ربها، فالقرآن كلما اتصلنا به أصلح في نفوسنا عيوباً خافية لا نراها، وبادية لا نقدر عليها إلا بصحبة القرآن، فلتكن صحبة القرآن على رأس عادات رمضان التي نعتادها فلا نبرحها قط، وكل هداية من هدايات رمضان تحتاج إلى ثبات عليها حتى تصير عبادة معتادة.

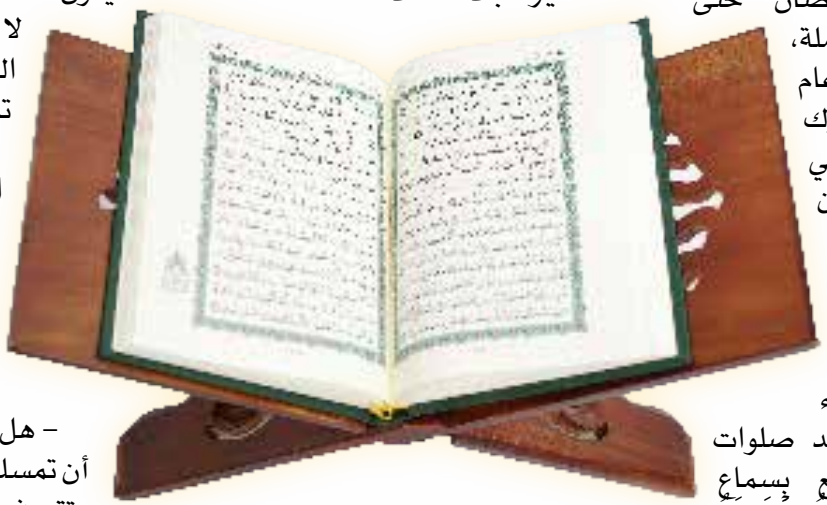

حين ذكر الله تعالى أحكام الصيام وفقهه وعزائمه ورخصه، أمر عباده أن يُكملوا عدة الصوم حتى مغرب اليوم الأخير، وأن يُكملوا عدة القضاء إن كانوا من ذوي الأعذار.

وتلك عادة يريد الله أن نعتادها ضمن عادات الخير التي يؤسس لها رمضان، يريد الله تعالى من المسلم أن يكون دؤوباً متقناً لعمله -كل عمله- لا ينفك عنه حتى يتمه على الوجه الأكمل، فلا يهمل منه جزءاً ولا يترك منه بعضاً ولا ينقطع نفسه قبل التمام، إن مدرسة رمضان تعلمنا أن يكون صومنا مائة بالمائة، فلا نجرحه برشفة ماء، ولا كسرة خبز، مهما بلغ الجوع أو العطش؛ لنتعلم أن نكمل عدة الصلاة وعدة الذكر وعدة التلاوة وعدة العلم وعدة العمل.

يريد الله تعالى من المسلم أن يكون عمله ديمة، متصاعداً لا متراجعاً، متزايداً لا متناقصاً.

يريد الله تعالى من المسلم أن يكون ذا عزيمة نافذة ماضية، لا تكبو في منتصف الرحلة، ولا تنتكس قبل تمام العدة.

ودعونا نحاول التنزيل على الواقع قليلاً:

- هل من إكمال عدة الصوم أن تطيع الله نهاراً وتعصيه ليلاً؟!

- هل من إكمال عدة الصوم أن تمسك عن الطعام والشراب وتقع فيما هو أعظم من الغيبة والنميمة وقول الزور وغمط الناس وأكل الحقوق والتقصير في العمل؟!

لنعش مع القرآن في نهار رمضان وليله تلاوة وتدبراً وفهماً لعله يروي نفوسنا العطشى إلى وحي ربها

- هل من إكمال عدة الصوم أن تبدأ رمضان بحماس عظيم لا تكاد تغفل عن الطاعة دقائق معدودات ثم يتراخى ذلك الحماس بالتدريج حتى تضيع ساعات وأيام؟!

- هل من إكمال العدة أن تبني في رمضان ثم تهدم بعد رمضان وتعود حياتك سيرتها الأولى فتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير؟!

وفي ميادين الحياة كم من فكرة صالحة لم نحولها إلى عمل، أو تراجعنا عنها قبل أن تكتمل، أو أتقنا وجهاً من العمل وفاتتنا وجوه أخرى فضاعت الثمرة!

إن من منهج الإسلام العظيم ومن عادات الخير التي يعودنا إياها ضيفنا الجميل: الدأب، والمواصلة، وحسن التدبير، والمضي في الطريق الصحيح إلى نهايته من غير تخاذل ولا تراجع، ولا فتور ولا نفور.

وقد أمرنا الله تعالى أن ندخل في السلم كافة؛ أي: نلتزم الدين كله، وعلمنا الإسلام أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل، وأوصى النبي صلى الله عليه وسلم صاحبه ابن عمر فقال: «يا عبدالله، لا تكن كفُلان؛ كان يقوم من الليل فتركه»!

لكن كثيرين منا لم ينتبهوا إلى الأمر الإلهي: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ (البقرة: ١٨٥)، ﴿وَلِمَ يَسْتَوْعِبُوا التحذير الرباني: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾ (النحل: ٩٢)، فلا يكاد أحدهم يمضي إلى الله خطوة إلا ويرجعها خطوات، ولا يكاد يفعل حسنة إلا ويحاصرها بسيئات، ولا يكاد يبتدئ عملاً نافعاً لنفسه وغيره إلا وينقطع عنه قبل التمام، يرجع في كل مرة قبل أن يبلغ الغاية أو يحقق الهدف؛ فتضيع الثمرة ويفوت المقصد؛ فلنتعلم من رمضان أن نكمل العدة في شؤوننا كلها قبل أن تكمل عدة الأعمار وتتم مدة الآجال.■

واحة الشعراء

رمضان .. أهلاً بشهر الصيام!

شعر- رمضان فراج:

إذا شعبان قد جد المسيرا ... وأوفى سعيه إلا يسيرا
فشمر عزمة لهلال شهر ... من النفحات دفاقاً مطيرا
وشمر بشرة لبزوغ فجر ... أصاب الجن صفده أسيرا
وشمر فرحة لقدوم ضيف ... تهش لركبه عدن حبورا
وشمر لهفة للقا حبيب ... يغلق حبه عنا السعيرا
وشمر خوف دعوات الأمين ... وتأمين النبي وكن بصيرا
ألا قد خاب من للشهر يبلي ... وما يكسيه غفراناً كبيرا
ويا خسران من وافى الفلاحا ... فأبعده وقال له: دحورا
فيا باغي لخيرات هلما ... وأقصر باغي الشر الشرورا
وصم لنهاره روحاً وقلباً ... فروح الصوم لا رفثاً وزورا
وإن أوذيت في نفس وعرض ... ف«إني صائم» تمحو الكدورا
وقل يا صوم إنك نصف صبري ... وجنتي التي تحمي الصدورا
ومعراجي إلى روض التقاة ... لعلي أرتقي الروض النضيرا
فيا لهفي على صومي لشهر ... ولا أجني من التقوى نقيرا
فكم من صائم لم يجن إلا ... أليم الجوع والظمأ حسيرا
وكم من قائم نصباً وكرها ... بقلب ما يذوق القشعريرا
فيا مولاي في رمضان سق لي ... بشائر توبة تزجي البدورا
فتحيي طينتي هزاً وربواً ... وكانت قسوة صخراً وبورا
ويسري النور عزماً في فؤادي ... فيزهر مخلصاً بدراً منيرا
تعانق مصحفي أوتار قلبي ... ففاض النبض ترتيلاً ونورا
كأهل الله مرتحلاً وحلاً ... كسوا تاجاً من الحلل حريرا
عروجاً كلما يتلوه يرقى ... منازل تبلغ الآي الأخيرا
يسابق داعي الإحسان سبقاً ... كريح تحمل الخصب الوفيرا
ينادي العشر يا رحمات: هلي ... ومدي الظل أصقاعاً ودورا
فعشر رحمة تليت بعشر ... من الغفران والعتق أخيرا
وفيه القدر فاقت ألف شهر ... تضاعف حرث أمتنا دهورا
وفيها يفرق الأمر الحكيم ... وفيها أنزل القرآن نورا
تنزل جملة من لوح حفظ ... وثبت نجمه -بعد- النذيرا
فما يأتون من مثل جدالاً ... أتاه الوحي بالحق بدورا
فقمها عابداً وانهل سلاماً ... يزف ملائكا نزلاً كثيرا
وفاقوا ذا الحصى في الأرض عداً ... وفيهم روحهم وافوا السحورا
يطوفون الدنا سلماً وأمناً ... تؤمن قائماً يدعو الغفورا
فيا لله كم عتقت رقاب ... وكادت بالهوى تهوي سعيرا
إلهي يا عفو تحب عفواً ... وعبدك تاق للعفو فقيرا
فمن أرجوه إن عصفت ذنوبي ... بقلب صار مكلوماً كسيرا
فحرر يا عفو فكاك أسري ... فقلبي قيد بالران أسيرا
وجمّل فرحتي بالعيد فطراً ... وتكبيراً وتحميداً سرورا
فأفرح فرحتين بعيد فطر ... وأخرى عندما ألقى الشكورا
هنيئاً صومكم صبراً وتقوى ... وها أنذا أوافيكم أجورا

في رمضـان.. ابحث عن نفسك تجد ربك

أ.د. جمال عبدالستار
أستـاذ بجامعة الأزهر،
رئيس مؤسسة التجديد

يظنُّ عامة المسلمين أنَّ الصيام مجرد إمساك عن شهوتي البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس فحسب، ثم ينطلقون في حياتهم لاهين لاعبين غافلين عن فرصة عمرهم ومنهجية فوزهم وخلاصهم، ويرى البعض الآخر أنَّ رمضان فرصته السانحة لتوثيق الصلة بخالقه، عن طريق قراءة القرآن، والقيام، والصدقات، ولا شك أنَّ هذا مسلك جيد.

ففي الشهر المبارك يتوقف المؤمن عن ملذاته، فيصوم جسده عن الطعام والشراب، ويجاهد نفسه ليطهر روحه من الشوائب، لكن هل فكرنا يوماً أن هذا الشهر فرصة لاكتشاف أنفسنا، وأنه في لحظات الصيام والقيام، يمكننا أن نلتقي مع ذواتنا الحقيقية ونكتشف طريقنا إلى الله؟

هناك حقيقة لا ينبغي إغفالها، ومنهجية لا يقبل تجاهلها؛ ألا وهي اكتشاف الروح في رمضان، فحينما يهذب العبد جسده بالامتناع عن بعض متطلباته، يدرك أنه يمكنه أن يأخذ بزمام نفسه فيطوعها ولا تطوعه، وحينئذ يكتشف السالك أنه ليس هو ذاك الجسم الجائع في نهار رمضان والمثقل في لياليه، بل هو شيء أعظم من كل ذلك، سيكتشف تلك الروح المباركة التي حلت فيه، بل كانت غائبة خلف سماكة الجسد وكثافته؛ ما حجبها عن المعرفة وغيبها عن منصة التكريم والارتقاء.

وفي كل عام يعود إليك رمضان ليذكرك أن حياتك لا تكمن في عبور الأيام المادية فحسب، بل في تجديد العلاقة مع نفسك أولاً، ثم مع الله، إن روحك إذا تحررت تألقت، فيرى الإنسان الدنيا على غير ما هي عليه، بل إنَّه يرى أنَّه ليس وحده في هذا الكون، بل سيشعر أن الأرواح موجودة في كل شيء، وأن كل روح حلت في جسد مختلف، وحينما تتفقد الأرواح من حولك، تجد أُنسك في أي مكان كنت، وإن غابت عنك الأرواح، استشعرت الوحشة، وإن كنت في زحام البشر.

إن روحك تستصرخك أن تنقذها من الأسر لتنعم بالحرية والترقي؛ ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ (البلد)، ولا أعلم رقبة في حاجة إلى الفكاك والتحرر من روحك التي في داخلك، إنها بحاجة إلى أن تحررها من أسر شهواتك، وقيد غرائزك، وسجن جسدك، ليكون قرار إفراجها: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ (الفجر).

ساعتها ستنادي على قلبك: أين أنت يا قلب؟ أين ضاع منك المسار؟ هل كنت تسير في طريق أوهامك، أم أنك كنت تعيش في ظلال الحقيقة وتبتغي لقاءً مع الخالق؟

في هذا الشهر العظيم، تقف الحياة لتسمعك صوتاً يناديك، يستحث روحك لتسمع، ويوقظ قلبك ليعي، ولكي تسمع تلك الرسالة واضحة، يلزمك أولاً أن تبذل كل جهد لديك لإسكات صوت جسدك، ورغبتك، وشهوتك، وغريزتك؛ فتجد نفسك تنتقل من حالة من الركود

ادخل رمضان وقد أزلت عن نفسك غبار المشاحنة وأثقال المنازعات وعفوت وفوّضت الأمر لله

ابحث عن نفسك في محراب الليل والقرآن المشهود والنزول الإلهي في سحر التجلي والعطاء

.. وابحث عن روحك عند المكلومين فواسهم وعند المظلومين فخذ بيدهم وناصرهم وكن لهم معيناً

الروحي إلى حالة من السكون في حضرة الله، وأنت إذ تعيد اكتشاف نفسك في صيامك، تجد أنك قد تراكمت فيك جوانب كثيرة من الصفاء الداخلي والطمأنينة الروحية، تلك هي الهداية، أن تعيش مع الله، أن ترى أثره في كل شيء، يدعوك ربك لأن تجد نفسك، في لحظة هدوء، في لحظة تأمل، بل في لحظة بحث حقيقي صادق عن روحك الأسيرة، وربك الجليل.

إن من أهم الشروط للعثور على الروح المنيرة فيك، بل العثور على ذاتك الحقيقية وجوهرك النفيس، أن تدخل رمضان وقد أزلت عن نفسك غبار المشاحنة وأثقال المنازعات، وعفوت عمن استطعت العفو عنه، وفوّضت الأمر لله فيمن لا طائل لديك من التغاضي عن مظالمه، فإن أثقل ما يحجب القلب، ويميت الروح، هي تلك المشاحنات والمنازعات، التي تظل بالدين حتى تقتلعه من قلبك، أو كما في الحديث الشريف: «.. فإنها الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، بل تحلق الدين» (رواه الترمذي).

فارفع عنك ركام الإحن فإنه قاتلك، وخفف من غلواء نفسك، وفرغ من ذهنك وقلبك وعقلك مساحة تتناسب وطموحاتك في رمضان، لتعلو الروح على متطلبات الجسد، وتصفو النفس فوق تطلعات البدن، فإنك لن تنال من رمضان إلا بحسب ما أعددت من نفسك، وفرغت من قلبك، وتيقنت أن الإمداد على قدر الاستعداد.

وفي الصيام، لا بد أن تدرك من أول ليلة في الشهر أن أبرز ما يجب أن تبحث عنه في رمضان هو روحك المختفية تحت ركام جسدك، إن فيك روحاً مضيئة، لو عثرت عليها لوجدت كنزك المفقود، وروحك المفقودة تجدها حينما يكون الصيام تطلعاً للرضوان، وسبيل ذلك عمق التدبر في الآيات المباركات التي قد تفتح آية واحدة منها مغاليق قلبك فتحدث فيك إعجازاً ينير بصيرتك، فترتقي من عالم الطين اللازب إلى ساحة التعرف والتحبب والإخبات؛ ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا﴾ (الشورى: ٥٢).

ابحث عن الآية التي تنفض عنك غبار الغفلة، فتعيد إلى عينيك سيلان دموعها، وإلى قلبك دقات خشوعه ونبضات خضوعه وسكينة استسلامه وأشواق محبته، ابحث عن نفسك في جوع البطن الخاوية، واعلم أن هذا الجوع أو العطش هو رسالة تنادي الروح أن تقدمي، فقد ضعف تأثير الطين، وهذا أوان خلاصك، فجددي الوصال، وترقي في الصعود في معارج السالكين.

ابحث عن نفسك في محراب الليل، والقرآن المشهود، والنزول الإلهي في سحر التجلي والعطاء، وابسط يدك وناج ربك: ﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ (يوسف: ٨٨)؛ فلن يخيِّب رجاءك.

ناج ربك في يقين من اطلاعه عليك قائلاً: يا رب، نهيت عبادك عن رد السائل وزجره، فقلت وقولك الحق: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ (الضحى: ١٠)، وإني سائل على باب عفوك وكرمك فلا تردني خائباً، وخلصني من شقوة نفسي وحجاب قلبي، أو كما كان أحدهم يناجيه طالباً العثور على نفسه: رب خذني إليك مني، وارزقني الفناء عني، ولا تجعلني مفتوناً بنفسي محجوباً بحسي.

إذا وجدت روحك ستكون ليلة القدر ليلة مولدك وختام رمضان يقين عتقك.. عرفت فالزم

ابحث عن نفسك في مواطن الفيوضات الربانية، وأماكن المنح الرحمانية، فاجلس في مجالس العلماء مزاحماً السائرين بالركب، مستحضراً حديث النبي صلى الله عليه وسلم عن النفر الثلاثة الذين وفدوا إلى مجلسه؛ فأمَّا أحدُهُما فوجدَ فُرجةً في الحلقة فدخلَ فيها، وأمَّا الآخرُ فجلَسَ وراءَ النَّاسِ، وأدبرَ الثَّالثُ ذاهبًا، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «ألَا أُخبِرُكُم عَنِ النَّفَرِ الثَّلاثَةِ؟ أمَّا أحَدُهُمْ فأوَى إلى اللهِ فآوَاهُ اللهُ، وأمَّا الآخَرُ فاستَحيَا فاستَحيَا اللهُ منه، وأمَّا الآخَرُ فأعرَضَ فأعرَضَ اللهُ عنه» (رواه البخاري).

ابحث عن نفسك قد تجدها عند مريض تزوره فيفتح الله لك عنده في معيته باباً للتعرف يغنيك، وباباً للهداية يرشدك تحت سقف؛ «أما إنك لو زرته لوجدتني عنده».

ابحث عن قلبك عند المنكسرة خواطرهم؛ فاجبرها، وعند المنكسرة قلوبهم؛ فداوها، فقد قال موسى: «ربي، أين أجدك؟»، قال: «تجدني عند المنكسرة قلوبهم».

ابحث عن روحك عند المكلومين؛ فواسهم، وعند المظلومين؛ فخذ بيدهم وناصرهم وكن لهم، وعند المحتاجين؛ فكن البسمة التي ترسم على وجوه طالما رسم العبوس عليها من خطوطه وآثاره.

ومن خلال هذا الصوم، نجد أنفسنا نقترب من ذواتنا أكثر، نغلق أبواب الشكوك ونفتح أبواب الإيمان، نكتشف كم هو عظيم فضل الله علينا، ونعرف كم نحن في حاجة إليه، قد نكتشف في رمضان أننا كنا بعيدين عن الله أكثر مما نعتقد، وأن قلبنا بحاجة ماسة لتجديد الإيمان والعودة إلى رحاب الرب المنان.

إذا وجدت روحك ستكون ليلة القدر ليلة مولدك، وصباحها يوم انطلاقك، وختام رمضان يقين عتقك، وتناديك روحك في بهجة: عرفت فالزم.■

هَدي النبي ﷺ مع القرآن الكريم في شهر رمضان

د. أحمد عيسى
دكتوراة في العقيدة وأصول الدين

مع إشراقات رمضان ونفحاته وأفراح الروح فيه التي توقظ المشاعر وتستنهض النفوس، تتجدد الصلة بالله عز وجل، وتحيا القلوب في رحاب كلام الله؛ القرآن الكريم، فكيف كان هَدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مع القرآن في هذا الشهر المبارك حتى نقتدي به؟

تكفل الله بحفظ القرآن الكريم من أي تحريف، أو تبديل، أو زيادة، أو نقص، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩)، وهو آخر الكتب السماوية؛ لا يُنسخ ولا يُبدل، ولقد حفظ الله القرآن الكريم على الأرض ابتداء بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي حفظه أتم حفظ، وبلغه أحسن تبليغ، وعلّمه للصحابة، فحفظته صدورهم.

روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة»(١)، كانت هذه المدارسة والمقابلة في القراءة عن

النبي كان يُحيي الليل بقراءة القرآن في الصلاة عبادة وتلاوة وتدبراً حتى تفطرت قدماه الشريفتان

ظهر قلب في رمضان من كل عام؛ من الأسباب القوية لحفظ النبي صلى الله عليه وسلم القرآن وتثبيته في قلبه، وخص بذلك رمضان من بين الشهور؛ لأن ابتداء الوحي كان فيه؛ ولهذا يستحب دراسة القرآن وتكراره في رمضان.

ومن أسباب حفظ القرآن على الأرض حرص النبي صلى الله عليه وسلم على حفظه ومدارسته في كل أوقاته، فكان يحيي الليل بقراءة آياته في الصلاة؛ عبادة، وتلاوة، وتدبراً لمعانيه، حتى تفطرت قدماه الشريفتان، مع تكفل الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم بحفظه وجمعه في صدره حتى لا يضيع منه شيء، وكان القرآن شغل النبي صلى الله عليه وسلم الشاغل في صلاته، وتهجده، وفي سره وعلانيته، وفي حضره وسفره، وفي وحدته وبين صحابته، ولا يغيب عن قلبه، والتأدب بآدابه، وتبليغه إلى الناس كافة، كما كان أعلم الناس به، وفي الحديث دخلنا على عائشةَ فقلنا: يا أمَّ المؤمنين، ما كان خُلُقُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؟ قالت: «كانَ خُلُقُه القرآنُ»(٢).

تعليم القرآن للصحابة

إن النبي صلى الله عليه وسلم هو أول الحُفَّاظ، ولصحابته فيه الأسوة الحسنة؛ شغفاً بأصل الدين ومصدر الرسالة، وقد نزل القرآن في بضع وعشرين سنة، وكلما نزلت آية حُفظت في الصدور، ووعتها القلوب، والأمة العربية كانت بسجيتها قوية الذاكرة، تستعيض عن كتابة أخبارها بسجل صدورها(٣).

قام النبي صلى الله عليه وسلم بتعليم الصحابة القرآن بنفسه، وأمره الله عز وجل بأن يقرأه على الناس على مُكث، كما قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾ (الإسراء: ١٠٦)؛ أي: على مَهل، ليتدبروه ويتفكروا في معانيه، ويستخرجوا علومه، وأخرج

لم يكتف النبي بحفظ القرآن وإقرائه لأصحابه وحثهم على تعلمه بل أمر بكتابته وتقييده في السطور

القرآن كان محل عناية الصحابة يتنافسون في مدارسته ويتفاضلون فيما بينهم بمقدار ما يحفظون منه

البخاري عن عبدالله بن مسعود أنه قال: «والله لقد أخذتُ من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعاً وسبعين سورة»(٤)، وأخرج عن جابر بن عبدالله قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُنا الاستخارة في الأمور كلها كما يُعَلِّمُنا السورة من القرآن»(٥).

وقد كُتب القرآن كله في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بمرأى وبأمر منه؛ حيث كان للوحي كتبة من خيرة الصحابة يكتبون كل ما نزل من القرآن، ثم جُمع في عهد أبي بكر بين دفتي المصحف، وفي عهد عثمان على حرف واحد، فلم يكتف النبي صلى الله عليه وسلم بحفظ القرآن، وإقرائه لأصحابه، وحثهم على تعلمه وتعليمه، بل جمع إلى ذلك الأمر بكتابته وتقييده في السطور، فكلما نزلت آيات دعا الكتّاب فأملاها عليهم ليكتبوها.

«وقد اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كتّاباً للوحي من أجلّاء الصحابة كعليّ، ومعاوية، وأُبَيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، تنزل الآية فيأمرهم بكتابتها، ويرشدهم إلى موضعها من سورتها، حتى تُظاهر الكتابة في السطور، الجمع في الصدور»(٦)، «وبلغ كتّاب النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وأربعين كاتباً كان بعضهم منقطعاً لكتابة الوحي»(٧).

والعرضة الأخيرة

علينا العناية بالقرآن في رمضان إيماناً وتحاكماً وتخلّقاً وعملاً وتلاوة وتدبراً وسماعاً وحفظاً

هي مدارسة القرآن التي تمت بين النبي صلى الله عليه وسلم قبيل وفاته وجبريل عليهما الصلاة والسلام في شهر رمضان من السنة العاشرة للهجرة، وكانت العرضة مرتين؛ في كل مرة ختمتان؛ ختمة عرض وختمة سماع، فكان جبريل عليه السلام يقرأ والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع حيناً، والنبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وجبريل يسمع، وجمع عثمان رضي الله عنه المصحف الإمام على هذه العرضة الأخيرة.

وقد شرح «القضاة» في بحثه، كيف كانت هذه العرضة مراجعة نهائية لجميع ما نزل من القرآن، وبالأحرف السبعة، وحضور العرضة معناه أنه بعد انصراف جبريل، يخرج النبي صلى الله عليه وسلم فيقرأ على من حضر من الصحابة، ويقرأ في الصلاة الجهرية وفي قيام الليل، فيسمعه الصحابة، ويدارسهم فيه ليطمئن على صحة أخذهم للقرآن بصورته الأخيرة، فيكون كل من ائتم بالنبي صلى الله عليه وسلم في رمضان في السنة العاشرة وما بعدها حتى وفاته، قد حضر شيئاً من العرضة الأخيرة، وهم عدد كبير من الصحابة، الذين كانوا يواظبون على الحضور معه صلى الله عليه وسلم في مجالسه، وفي صلاة الفريضة وصلاة الليل بمسجده وما أكثرهم(٨)!

ماذا عنّا؟

كان القرآن محل عناية الصحابة، يتنافسون في استظهاره وحفظه، ومدارسته وتفهمه، ويتفاضلون فيما بينهم على مقدار ما يحفظون منه، يهجرون لذة النوم وراحة الليل إيثاراً للقيام به وتلاوته في الأسحار، حتى لقد كان الذي يمر ببيوتهم في غسق الدجى يسمع فيها دوياً كدوي النحل بالقرآن، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يذكي فيهم روح هذه العناية بالتنزيل، ويبلغهم ما أنزل إليه من ربه، ويبعث إلى من كان بعيد الدار منهم من يعلمهم ويقرئهم(٩).

ها هو رمضان شهر القرآن فرصة لنا للتأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الأفاضل في العناية بالقرآن؛ إيماناً وتصديقاً وتحاكماً وتخلّقاً وعملاً وتلاوة وتدبراً وسماعاً وحفظاً وتعلماً وتعليماً. ■

الهوامش

(١) رواه البخاري، كتاب بدء الوحي (٦).
(٢) رواه البخاري، الأدب المفرد (٣٠٨)، قال الألباني: صحيح لغيره.
(٣) القطان، مباحث في علوم القرآن، ص ١٢٠.
(٤) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن (٥٠٠٠).
(٥) رواه البخاري، كتاب التهجد بالليل (١١٦٢).
(٦) القطان، مرجع سابق، ص ١٢٣.
(٧) الحمد، رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، ص ٦٩.
(٨) القضاة، العرضة السنوية الأخيرة للقرآن الكريم، علوم الشريعة والقانون، ٤٥ (٤)، ملحق ٢، ٢٠١٨، ص ٣-١١.
(٩) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ص٢٤١.

رمضان للجميع

إيمان مغازي الشرقاوي
ماجستير الدعوة بجامعة المدينة العالمية

هلّت تباشير الخيرات، وتنسمت رياح النفحات، تعلن للجميع قدوم هذا الوافد المبارك شهر رمضان، الذي يزورنا كل عام، وبقدومه يزهو الكون ويزدان.

إنه الشهر المكرم الذي ينتظره محبوه من المسلمين والمسلمات في مشارق الأرض ومغاربها، ويدعون الله تعالى أن يبلغهم إياه، وأن يعينهم فيه على طاعته ورضاه؛ فهو شهر الخيرات والبركات، شهر الطاعات والحسنات.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه به فيقول لهم: «أتاكُم رَمضانُ شَهرٌ مبارَك، فرَضَ اللهُ عزَّ وجَلَّ عليكُم صيامَه، تُفتَّحُ فيه أبوابُ السَّماء، وتغلَّقُ فيه أبوابُ الجحيم، وتُغَلُّ فيه مَرَدَةُ الشَّياطين، للهِ فيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شَهر، مَن حُرِمَ خيرَها فقد حُرِمَ» (رواه النسائي، وصححه الألباني).

خير الشهور:

ورمضان خير الشهور، فقد أكرمه الله تعالى بنزول القرآن، واختصه بفريضة الصيام، كما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾(البقرة: ١٨٥).

ومن عظيم بركته أن فيه أفضل الليالي وأعظمها أجراً، ليلة القدر، وهو شهر الرحمة والمغفرة والعتق من النار، وشهر الجود والصدقة والإحسان، وشهر العبادة والذكر وتلاوة القرآن، وشهر الدعاء والبر وصلة الأرحام، وشهر الوحدة الإيمانية وتآلف القلوب، وشهر العفو والصفح والتسامح، وشهر التوبة ومحاسبة النفس ورد المظالم، وشهر القرب من الله وإجابة دعاء عباده الصائمين، فنفحات الله فيه رزق للعباد الذين يطلبونها بصدق وإخلاص، ويتعرضون لها بهمّة ونشاط.

لذا، فإن على المسلم أن يغتنم أيام وليالي رمضان، وأن يتعرض لهذه النفحات، ليصيبه من رحمات الله، وينالَه من كرمه، ويفوز بعظيم عطاياه، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «افْعَلوا الخَيْرَ دَهْرَكُمْ، وتَعَرَّضُوا لنَفَحات رَحْمَةِ اللهِ، فإنَّ للهِ نَفَحاتٍ من رحمتِهِ،

رمضان شهر الرحمة والعتق من النار والجود والإحسان والعبادة وتلاوة القرآن والبر وصلة الأرحام

.. وهو فرصة عظيمة للغني لينفق على الفقراء والمساكين والأيتام فإن الصدقة فيه عظيمة الأجر

يُصيبُ بها مَنْ يَشَاءُ من عباده، وسَلوا اللهَ أنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتِكُمْ، وأنْ يُؤَمِّنَ رَوْعَاتِكُمْ» (رواه الطبراني، وحسنه الألباني).

لكن بعض الصائمين قد يبعثر ساعات رمضان الشريفة هنا وهناك بين لعب ولهو وتضييع للأوقات، يتجول جيئة وذهاباً لحاجة ولغير حاجة بين أروقة وسائل التواصل التي تعددت أسماؤها لكن نتيجتها واحدة؛ إذ يتفلت رمضان من بين أيديهم دون أن يشعروا به، وقد يقضي بعض الصائمين نهارهم في النوم والكسل والخمول، أو في الأسواق، أو لغواً مع الأصدقاء؛ أو على شاشات التلفاز، وقد ظن أن حق رمضان عليه ما هو إلا الصيام وصلاة التراويح التي يصليها أحياناً، ثم هو يفعل بوقته بعد ذلك ما شاء دون مراعاة لشرف الزمان وأهميته؛ فيهدر بذلك أنفس لحظات عمره وهو لا يدري.

رمضان للرجال والنساء:

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧)، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ

.. وللمطيع حتى يستزيد وللعاصي ليتوب وللمقصّر ليستدرك وللقاطع ليصل ولسيئ الخلق ليُحسن

وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ (الأحزاب: ٣٥).

فالإسلام، والإيمان،والقنوت، والصدق، والصبر، والخشوع، والتصدق، والصوم، وحفظ الفروج، وذكر الله، كل ذلك من الأعمال التي يحبها الله تعالى منا في كل وقت ويرغبنا فيها، لكن القيام بها والمحافظة عليها آكد في رمضان، وهي أعمال ليست خاصة بالرجال وحدهم؛ فالمرأة مكلفة كالرجل، وهي مسؤولة ومحاسَبة على أعمالها؛ لذا ينبغي على الزوجين أن يكون كل منهما عوناً للآخر على طاعة الله واغتنام أيام وليالي رمضان والتعرض لنفحات الرحمة فيه علهما يفوزان معاً بليلة القدر.

غير أن بعض النساء في رمضان قد يفوتها قطار الطاعات، فتتأخر عن قوافل العاملين المجدين ويفوتها الخير الكثير، وذلك بسبب الإسراف في قضاء الوقت بالمطبخ بالليل والنهار، لإعداد أنواع الطعام المختلفة، التي يدخل فيها بعض الإسراف والتكلف!

وقد يرغب الزوج في استضافة أصدقائه كثيراً على الإفطار، والسمر معهم بعده والسهر الذي قد يمتد إلى وقت السحور؛ ما يسبب لها التعب والإرهاق طيلة اليوم وهي صائمة، ثم تؤدي صلاتها وعبادتها بعد فراغها وهي منهَكة القُوَى؛ ما يؤدي بها إلى التقصير فيها، وإن طلبت من زوجها التخفيف عنها أو اعتذرت فقد يغضب منها ويذكّرها بحق الزوج ويتهمها بعدم طاعته!

لذا، فإنه ينبغي للزوج ألا يتعسف في استخدام حقه على زوجته، وأن يراعي أحوالها، وأن يعينها على الاقتصاد والتوسط في صنع الطعام، فإن رمضان ليس لكثرة الأكل ولا لتنوع الطعام وتعدد أشكاله، وعلى الزوجة أن توازن بين عمل البيت وعباداتها في رمضان دون أن تقع في الإفراط أو التفريط، وأن تحتسب كل ما تقوم به من عمل وتُعدّد له النيات، لعل الله يجزيها خيراً.

رمضان للأغنياء والفقراء:

ومن بركة رمضان أن الله تعالى جعله فرصة للغني لينفق من ماله على الفقير؛ فيطعمه من طعامه، ويعطيه من ماله، ويكسوه ويستر عورته، وفي هذا عون للفقير على الصوم وعبادة الله في رمضان، فقد يكون هذا الفقير يتيماً فيكفله الغني، أو مسكيناً فيساعده، أو أرملة فينفق عليها؛ فيصبح مال الغني وسيلة لكشف كربة المكروب والتنفيس عنه، وإن الصدقة في رمضان عظيمة الأجر لشرف الزمان ومضاعفة الأجور فيه.

رمضان للجميع:

إن رمضان شهر عظيم القدر عند الله، امتن به على عباده المسلمين جميعاً، ودعاهم إلى صيامه وقيامه، والتأدب معه بحسن الخلق مع عباد الله، والإحسان إليهم، وإيتاء كل ذي حق منهم حقه.

ولا يستطيع أحد مهما كانت منزلته ومكانته أن ينسب رمضان لنفسه أو يدّعي أنه شهر خاص به دون سائر المسلمين؛ فقد جعله الله تعالى شهراً يحل ضيفاً على جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، فرمضان للجميع، فهو للمطيع حتى يستزيد من الطاعات، وللعاصي ليتوب، وللمقصر ليستدرك ما فاته، ولقاطع الرحم ليصل رحمه، وللبخيل لتطول يده بالبذل والعطاء، ولسيئ الخلق ليحسن خلقه.

ورمضان كذلك للصبي ليتدرب على الصيام، وللمرضى والمسنين والمسافرين وذوي الأعذار ليكثروا من الذكر وتلاوة القرآن وهم لا يقدرون على الصيام، كما أن رمضان للعاملين في المصانع والمخابز وغيرها من الأعمال والمهن الشاقة ليكثروا من التسبيح والتهليل وذكر الله وهم منخرطون في عملهم الذي لا غنى عنه في رمضان.

فرمضان لجميع المؤمنين كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣)، وإن نفحات رحمة الله تعالى وأعمال الخير فيه كثيرة ومتنوعة، وهي ليست مقتصرة على الرجال دون النساء، ولا للأغنياء دون الفقراء، وليست للعرب دون العجم ولا للأبيض دون الأسود، وإن الكريم عند الله حقاً هو من يُحسن ضيافة رمضان ليكون من المتقين، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣). ■

اليابان من البلاد التي وصلها الإسلام متأخراً، فحسب أغلب الروايات، يعود إلى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ويبلغ عدد المسلمين فيها اليوم نحو ٣٥٠ ألف مسلم، ولهم مساجد ومؤسسات يمارسون من خلالها شعائرهم ومناسباتهم الدينية والاجتماعية.

في هذا الحوار، نلتقي الشيخ أحمد مائينو، أحد أشهر الأئمة المسلمين في اليابان، ليعرفنا أكثر عن الإسلام والمسلمين في اليابان.

الإسلام في اليابان..
حـوار مع الشيخ أحمد مائينو مدير معهد جامع طوكيو

حوار – د. أسامة منصور:

● **بداية، هل يمكن أن تعرِّف نفسك للقراء؟**

– اسمي أحمد ناؤوكي مائينو، من اليابان، وُلدت عام ١٩٧٥م، وقد هداني الله تعالى إلى الإسلام عندما كنت في الثامنة عشرة من عمري، وأكرمني بفرصة دراسة العلوم الشرعية في دمشق الشام على أيدي مجموعة من العلماء الفضلاء، وذلك بين عامي ٢٠٠٠ و٢٠٠٦م، ثم تخرجت في مجمع الفتح الإسلامي، شعبة الشريعة الإسلامية، عام ٢٠٠٩م.

وأعمل موظفاً في إحدى الشركات اليابانية منذ عام ٢٠٠٦م، وأنا الآن المدير التنفيذي والأمين العام لكل من جمعية الصداقة اليابانية السعودية، وجمعية الصداقة اليابانية الكويتية.

وأشغل منصب أحد مديري جمعية مسلمي اليابان، التي حازت جائزة الملك فيصل عام ٢٠٢٤م تقديراً لجهودها المتواصلة في التعريف بالإسلام باليابان منذ تأسيسها عام ١٩٥٢م، كما أنني أحد مديري معهد جامع طوكيو، ومستشار فرع اليابان لمنظمة نهضة العلماء (الإندونيسية).

● **نريد لمحة سريعة عن تاريخ الإسلام في اليابان.**

– بدأ التعرف على الإسلام باليابان في أواخر القرن التاسع عشر، لكن انتشاره الفعلي بدأ بعد الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤ – ١٩٠٥م)، حيث توافد مسلمون أتراك وتتار إلى اليابان.

وفي عام ١٩٣٥م، تم بناء أول مسجد في اليابان، وهو مسجد كوبيه، وبعد الحرب العالمية الثانية، ازدادت معرفة اليابانيين بالإسلام، خاصة مع نمو العلاقات التجارية مع الدول الإسلامية، واليوم، يشهد الإسلام في اليابان نمواً متزايداً بفضل الله تعالى ثم بجهود الدعاة.

● **ما أهم المؤسسات الإسلامية في اليابان؟**

– هناك عدة مؤسسات تؤدي دوراً بارزاً في دعم المسلمين والتعريف بالإسلام، من أبرزها:

١- جمعية مسلمي اليابان: أقدم منظمة إسلامية في البلاد، وهي فريدة؛ لكون إدارتها بأيدي المسلمين اليابانيين فقط، تأسست عام ١٩٥٢م.

٢- المركز الإسلامي الياباني: تأسس عام ١٩٦٥م، وحصل على اعتراف الحكومة اليابانية عام ١٩٨٠م.

٣- الدكتور صالح السامرائي: وقد تولى سنوات طويلة د. صالح السامرائي، رحمه الله، مهمة تقديم الإسلام للشعب الياباني عامة والدعوة له، وبحث سبل التعاون والتعارف بين اليابان والعالم الإسلامي، إلى جانب بعض الجمعيات الإسلامية الأخرى.

● **ما أشهر مساجد اليابان؟**

– من أشهر المساجد: مسجد طوكيو (أكبر مسجد باليابان)، وتأسس عام ١٩٣٨م، وأعيد بناؤه عام ٢٠٠٠م، ثم مسجد كوبيه (أقدم مسجد باليابان)، بُني عام ١٩٣٥م، ومسجد أوتسوك ويقع في طوكيو، ويعد من المساجد النشطة دعوياً، وله باع طويل في تقديم يد العون لذوي الحوائج.

● **هل هناك تواصل بين المؤسسات الإسلامية باليابان والدول العربية؟**

– نعم، هناك علاقات قوية بين المؤسسات الإسلامية في اليابان ودول العالم الإسلامي، خاصة الدول العربية، يتمثل هذا التعاون في دعم المساجد والمراكز الإسلامية، وتوفير الكتب والمصادر الدعوية، إضافة إلى الشراكات مع جامعات

ومؤسسات علمية عربية في مجالات الترجمة والتأليف.

كما أن بعض الدول تقدم منحاً دراسية للطلاب اليابانيين لدراسة الإسلام في الجامعات العربية.

● هل يمكن أن تحدثنا عن أشهر الشخصيات اليابانية المسلمة؟

- أ.د. ياسر ياسوسي كوسوغي، من خريجي الأزهر الشريف، وكان أستاذاً في جامعة كيوتو المرموقة فترة طويلة، وهو أول من نال جائزة «الوسام الإمبراطوري» على مساهمته الكبيرة في التعريف بالإسلام في اليابان.

ود. حسن كو ناكاتا، وهو من خريجي جامعة القاهرة في تخصص الفلسفة الإسلامية، واختصاصه السياسة الشرعية لابن تيمية، وكان أستاذاً في جامعة دوشيشا المسيحية بكيوتو، وترجم وألّف العديد من الكتب التعريفية بالإسلام والمتخصصة في علومه، وأسلم على يديه العديد من طلبته.

والشيخة حبيبة كاؤوري ناكاتا، زوجة د. حسن ناكاتا، وكانت نشيطة في تربية وتعليم الأخوات، وألّفت كتاباً نفيساً حول قصة إسلامها وما بعد ذلك، وترجمت تفسير «الجلالين»، وتوفيت في عام ٢٠٠٨م وهي في الأربعينات من عمرها، ونفعها وتأثيرها باق، رحمها الله رحمة واسعة.

بالإضافة إلى عدد من الأكاديميين والدعاة اليابانيين الذين ساهموا في نشر الإسلام وتعزيز المعرفة به.

● ما أهم المنجزات العلمية في مجال التأليف والترجمة الإسلامية في اليابان؟

- تمت ترجمة العديد من الكتب الإسلامية إلى اليابانية، من أهمها: ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة اليابانية، وتوجد عدة ترجمات، منها ما أصدرته جمعية مسلمي اليابان، وجامع طوكيو، ومجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وبعض الأفراد منهم مسلمون يابانيون وغير ذلك.

وكذلك ترجمة «صحيح مسلم» ترجمه ٤ مسلمين يابانيين، من إصدار جمعية الصداقة اليابانية السعودية.

وترجمة تفسير «الجلالين» ترجمته الشيخة حبيبة ناكاتا، رحمها الله، من إصدار جمعية الصداقة اليابانية السعودية، وترجمة «السيرة النبوية» للدكتور مصطفى السباعي، ترجمه د. حسن ناكاتا، من إصدار جمعية الصداقة اليابانية السعودية، وترجمة «بداية الهداية» للإمام الغزالي، ترجمه أحمد ناؤوكي مائينو، من إصدار جمعية الصداقة اليابانية السعودية، وتأليف كتاب «ما هو الإسلام.. دينه وثقافته وتاريخه»، ألّفه د. ياسر ياسوشي كوسوغي، من إصدار شركة كودان، وهو كتاب تعريفي شامل صدر عام ١٩٩٤م.

كما أن هناك جهوداً مستمرة في تأليف وترجمة الكتب الإسلامية باللغة اليابانية.

● هل هناك أنشطة اجتماعية أو دينية للمسلمين في اليابان؟

- نعم، هناك أنشطة متنوعة، منها: إقامة صلاة الجمعة والتراويح في المساجد، وتنظيم دروس دينية وتعليم القرآن للكبار والصغار، وكذلك فعاليات شهر رمضان، مثل موائد الإفطار الجماعي، والمؤتمرات الإسلامية التي تجمع المسلمين من مختلف الجنسيات، إلى جانب المبادرات الاجتماعية مثل المساعدة في الكوارث الطبيعية والتواصل مع المجتمع الياباني لتعريفه بالإسلام.

● ما أهم التحديات التي تواجه الإسلام والمسلمين في اليابان؟

- هناك بعض الصعوبات والمعوقات التي تواجه مسيرة الإسلام في اليابان، ومنها:

١- قلة المعرفة العامة بالإسلام؛ ما يؤدي إلى بعض المفاهيم الخاطئة وقلب المفاهيم، مثل الأصل في الأشياء الإباحة إلى الأصل في الأشياء التحريم، إلا ما عليه ماركة حلال؛ ما أدى لانتشار تجارة إصدار الحلال بغرض تجاري فقط، كذلك ندرة المساجد والمراكز الإسلامية، خاصة في المدن الصغيرة.

٢- التحديات القانونية؛ المتعلقة بالزواج الإسلامي والذبح الحلال وتأسيس مقابر المسلمين، والاندماج الثقافي، حيث يجد بعض المسلمين صعوبة في التوفيق بين التقاليد اليابانية وأحكام الإسلام.

٣- تربية وتعليم الأجيال الناشئة؛ حيث يجد الكثير من مسلمي اليابان فرقاً شاسعاً بين توجهات التعاليم العامة في اليابان وتعاليم الإسلام، مثل الاعتقاد بتطور الحياة دون الخالق، وحقوق المثليين والشواذ، وما إلى ذلك.

٤- ضعف الهمة؛ حيث قلة وضعف الوعي والهمة لدى بعض الأئمة في اليابان، حيث تقتصر أعمالهم ومعاملاتهم على الجالية المسلمة من غير اليابانيين، فلا يبالي بأهل اليابان ولا يدرس لغتهم وثقافتهم. ■

إعداد الدعاة في الحضارة الإسلامية (2)

تربية الدعاة على مراقبة الله

د. رمضان أبو علي
أستاذ جامعي، دكتوراة في الدعوة الإسلامية

أورد ابن خلكان في كتاب «وفيات الأعيان»، وابن العماد الحنبلي في كتاب «شذرات الذهب»، أن رجلاً يسمى المبارك بن واضح كان يعمل أجيراً في بستان، فجاء صاحب البستان يوماً، وقال له: أريد رماناً حلواً، فمضى المبارك إلى بعض الشجر، وأحضر منها رماناً، فكسره صاحب البستان فوجده حامضاً، فغضب عليه، وقال: أطلب الحلو فتحضر لي الحامض؟ هات حلواً، فمضى، وقطع من شجرة أخرى، فلما كسرها وجده أيضاً حامضاً، فاشتد غضبه عليه، وفعل ذلك مرة ثالثة، فتذوقه، فوجده أيضاً حامضاً.

فقال له بعد ذلك: أنت ما تعرف الحلو من الحامض؟ فقال: لا، فقال: وكيف ذلك؟ فقال: لأني ما أكلتُ منه شيئاً حتى أعرفه، فقال: ولِمَ لَمْ تأكل؟ قال: لأنك ما أذنتَ لي بالأكل منه، فعجب من ذلك صاحبُ البستان، وسأل عن ذلك فوجده حقاً! فعظُم المبارك في عينيه، وزاد قدره عنده، وكانت له بنت خُطبت كثيراً، فقال له: يا مبارك، مَن ترى تزوَّج هذه البنت؟ فقال: أهل الجاهلية كانوا يزوجون للحسب، واليهود للمال، والنصارى للجمال، وهذه الأمة للدِّين، فأعجبه عقله، وذهب فأخبر به أمها، وقال لها: ما أرى لهذه البنت زوجًا غير مبارك، فتزوجها، فأنجبت عبدالله بن المبارك[1].

فما كان من هذا الوالد الكريم إلا أن ربّى ولده عبدالله على هذه المراقبة، التي تعني: دوام علم العبد بأن الله يعلم ظاهره وباطنه، ولا يخفى عليه شيء من أمره، وقد أثمرت فيه هذه المراقبة الفضائلَ المتنوعة، من علم وفقه وأدب وزهد وشجاعة وقوة وعبادة وإخلاص لله تعالى، حتى أتاه رجل يوماً يطلب منه النصيحة، فقال له عبدالله بن المبارك: راقب الله، فقال الرجل: وما تفسيرها؟ قال عبدالله: كن أبداً كأنك ترى الله[2].

وعاش عبدالله بن المبارك حتى أصبح عالماً كبيراً، يشهد له القاصي والداني، حتى قال عنه عبدالرحمن بن مهدي: ما رأت عيناي أنصح للأمة من ابن المبارك[3].

وقال إسماعيل بن عياش: ما على وجه الأرض مثل ابن المبارك، ولا أعلم أن الله خلق خَصلة من خصال الخير، إلا وقد جعلها في عبدالله بن المبارك[4].

وكان من أبرز خصاله: الحرص على نشر العلم، وتيسير أمور العلماء والدعاة، وقضاء حوائجهم دون أن يعلم به أحد، وهذه ثمرة المراقبة لله تعالى.

للمراقبة دور مهم في بناء الضمير الحي الذي لا تغريه الشهوات ولا تستهويه الشبهات

للتربية الأسرية دور مهم في غرس قيمة مراقبة الله تعالى في نفوس الأبناء وسلوكهم

المربي يلفت نظر الداعية إلى مراقبة الله والتأكيد على عدم الاغترار بمراقبة الناس وثنائهم

ويدل على ذلك ما أورده الخطيب البغدادي من أن عبدالله بن المبارك كان كثير الاختلاف إلى «طرسوس»، وكان ينزل الرَّقَّة في خان، فكان شاب يختلف إليه، ويقوم بحوائجه، ويسمع منه الحديث، فقدم عبدالله مرة، فلم يرَه، فخرج في النفير (الجهاد في سبيل الله) مستعجلاً، فلما رجع، سأل عن الشاب، فقيل له: محبوس على عشرة آلاف درهم، فاستدل على الغريم (صاحب الدَّين)، ووزن له عشرة آلاف، وحلفه ألا يخبر أحداً ما عاش، فأخرج الرجل، وسرى ابن المبارك، فلحقه الفتى على مرحلتين من الرَّقَّة، فقال لي: يا فتى، أين كنت؟ لم أرَك! قال: يا أبا عبدالرحمن، كنت محبوساً بدَيْن، قال: وكيف خلصت؟ قال: جاء رجل فقضى دَيني، ولم أدرِ، قال: فاحمَد الله، ولم يعلم الرجل إلا بعد موت عبدالله بن المبارك[٥]، إنها ثمرة التربية على مراقبة الله تعالى، التي اهتمت بها الحضارة الإسلامية العظيمة.

فلماذا حرصت الحضارة الإسلامية على تكوين الدعاة وتربيتهم على قيمة المراقبة لله تعالى؟

أولاً: تؤدي المراقبة دوراً مهماً في بناء الضمير الحي، الذي لا تغريه الشهوات ولا تستهويه الشبهات، ومن ثم فإنه يثبت أمام التحديات، مستحضراً معية الله تعالى ومعاونته، ولهذا الأمر ثمرة كبيرة في حفظ الدين الإسلامي، واتخاذه قاعدة لإقامة الحضارة، التي ترضي الله سبحانه وتعالى، وتحقق السعادة للإنسان.

ثانياً: تسهم المراقبة لله تعالى في إحسان العمل وإتقانه؛ حيث إن العبد الذي يراقب ربه؛ يجتهد في أداء واجبه على أفضل مستوى ممكن من الأداء، بل إنه يحرص على تجويد عمله وإحسانه؛ ولهذا كان الإحسان ثمرة من ثمرات المراقبة، فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئِل عن الإحسان، فقال: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإِنَّه يَرَاكَ»[٦].

وليست المراقبة في أداء الصلوات أو الشعائر فقط؛ بل في كل الأعمال، فإذا راقب الداعية ربه، وراقب العابد ربه، وراقب العامل ربه، وكذلك بقية الناس؛ فإن هذا يؤدي إلى تحسين الأعمال في كل جوانب الحياة، فإذا تحقق ذلك فإنه يثمر قوة وجودة في البناء الحضاري الإسلامي.

فإذا كانت التربية على قيمة المراقبة لله تعالى لها فاعليتها المهمة في البناء الحضاري؛ فما الوسائل التي اعتمدت عليها الحضارة الإسلامية في تربية الدعاة على المراقبة؟

أولاً: التربية الوالدية والرعاية الأسرية؛ وهي التي يقوم فيها الوالد بغرس قيمة المراقبة في نفوس أبنائه، وقد تجلى ذلك في قصة لقمان وهو يربي ولده على المراقبة، ليكون مثالاً لتربية الدعاة، فيقول: (يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ) (لقمان: ١٦).

ويظهر دور الوالد في تربية الدعاة على مراقبة الله من خلال موقف المبارك والد عبدالله الذي ذكرناه في بداية المقال.

ومن الأمثلة على دور الرعاية الأسرية في تربية الدعاة على مراقبة الله ما رواه الإمام البيهقي قال: أخبرنا أبو عبدالرحمن قال: سئل جدي إسماعيل بن نجيد: ما الذي لا بد للعبد منه؟ قال: ملازمة العبودية ودوام المراقبة[٧].

وروى الإمام الزبيدي، عن سَهْل بْن عَبْدِاللَّه التَّسْتُرِيِّ، قَالَ: كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل، فأنظر إلى صلاة خالي، محمد بن سوار، فقال لي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقك! فقلت: كيف أذكره؟ قال: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات: الله معي، الله ناظر إليَّ، الله شاهدي، فلم أزل على ذلك سنين حتى وجدت حلاوة

في سرّي، ثم قال لي خالي يوماً: يا سهل، من كان الله معه، وهو ناظره، وشاهده، كيف يعصيه؟![٨].

ثانيا: نصـائـح المربي وتوجيهاته؛ فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب المثال في تربية الدعاة،

من خلال نصحه لسيدنا عبدالله بن عباس، الذي قال: كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال: «يا غُلامُ، إنِّي أعلِّمُكَ كلِماتٍ، احفَظِ اللَّهَ يحفَظْكَ، احفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ، إذا سأَلتَ فاسأَلِ اللَّهَ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللَّهِ..»[٩]، ففي الحديث توجيه من الرسول المربي صلى الله عليه وسلم لحبر الأمة وترجمان القرآن سيدنا عبدالله بن عباس وكذلك للأمة من بعده أن يراقبوا ربهم في أعمالهم وأحوالهم.

ومن أمثلة حرص المربين في الحضارة الإسلامية على تربية الدعاة ما فعله أبو نعيم الحافظ الذي كان ملازماً لأبي عبدالله بن مالك، فقال له: إذا كنت فاعلاً فانظر نَظَر الله إليك، وإذا كنت قائلاً فانظر سمع الله إليك، وإذا كنت ساكتاً فانظر علم الله فيك، قال الله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (طه: ٤٦)، وقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ (البقرة: ٢٣٥)[١٠].

كما يلفت المربي نظر الداعية إلى المراقبة لله تعالى من خلال التأكيد على عدم الاغترار بمراقبة الناس وثنائهم، ومن ذلك ما قاله أبو حفص لأبي عثمان النيسابوري: إذا جلست للنّاس فكن واعظاً لنفسك وقلبك، ولا يغرّنّك اجتماعهم عليك فإنّهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك[١١]، فالداعية يراقب ربه سبحانه وتعالى وينشغل به دون المخلوقين، وخاصة في أوقات الخلوات.

ثالثاً: التربية الذاتية؛ وهي التي يتعهد فيها الداعية نفسه بالمتابعة والمحاسبة ويربيها على المراقبة لله تعالى حتى يكتسبها، وفي هذا يقول الفقيه المحقق الشيخ شعيب بن الحسين الأندلسي: بالمحاسبة يصل العبد إلى درجة المراقبة[١٢].

فإذا اكتسبها فإنها تظهر في سلوكه، وقد يتحدث عنه الناس كمثال للتحلي بها، ومن الأمثلة التي تدل على ذلك ما قاله أبو عبدالله بن عبدالملك المراكشي عن أحد المحدِّثين، وهو عليّ بن خلف الغرناطي أنه كان يغلِبُ عليه المراقبة لله والتأهُّبُ للقائه وحُسن الرعاية والإقبال على الله[١٣].

التربية الذاتية هي التي يتعهد فيها الداعية نفسه ويربيها على مراقبة الله حتى يكتسبها

وقال ابن الجوزي: كان الشيخ أبو بكر بن هوار عظيمَ القَدْر، كبيرَ الشَّأن، دائم المجاهدة، لازم المراقبة إلى الرَّبِّ[١٤].

والناظر في ترجمة الإمام الذهبي لكثير من الأعلام يجد أنه وصفهم بدوام المراقبة لله تعالى حتى اشتهر عنهم ذلك، ومنهم سفيان الثوري، وابن أبي أويس الأصبحي، وخالد البرمكي، ومحمد بن المبارك الصوري، وغيرهم من العلماء والدعاة.

فما أجمل أن نعرف سيرهم، ونقتفي أثرهم، حتى نكون مثلهم.■

الهوامش

(١) وفيات الأعيان، لابن خلكان (٣/ ٣٢). وشذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي (٢/ ٣٦٢).

(٢) إحياء علوم الدين، للغزالي (٤/ ٤٨٠).

(٣) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (١١/ ٣٨٨).

(٤) سير أعلام النبلاء، للذهبي (٨/ ٣٨٤).

(٥) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (١١/ ٣٨٨).

(٦) متفق عليه، رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).

(٧) الزهد الكبير: للبيهقي (١/ ٢٨٧).

(٨) إحياء علوم الدين (٣/ ٩٢).

(٩) رواه أحمد بسند صحيح (٢٦٦٩).

(١٠) تاريخ دمشق، لابن عساكر (٥٥/ ٢١٩).

(١١) إحياء علوم الدين.

(١٢) عنوان الدراية، أبو العباس الغبْريني، ص ٣١.

(١٣) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (٣/ ١٧٤).

(١٤) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (٢١/ ١١٥).

يا حامل القرآن (5)
8 خطوات لتدبر القرآن

د. خالد أبو شادي
داعية إسلامي

التدبر معرفة دبر الأمر وعاقبته، وتدبر القرآن: معرفة مراد أوامره ونواهيه وقصصه ومواعظه، فإذا قصّر العبد فيما مضى اعتذر واستغفر، وإذا مر به آية عذاب أشفق وتعوَّذ، وإذا مر بآية نعيم دعا واستبشر، وإذا مر بتنزيه سبَّح وعظَّم، وإذا مر بوضع دعاء طلب وتضرع.. وهكذا.

التدبر أهم مقاصد إنزال القرآن:

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ص: ٢٩)؛ قال ابن عطية: «وظاهرُ هَذِهِ الآيَةِ يُعْطِي أنَّ التَدَبُّرَ مِن أسْبابِ إنْزالِ القُرْآنِ، فالتَرْتِيلُ إذا أفْضَلُ لِهَذا؛ إذِ التَدَبُّرُ لا يَكُونُ إلّا مَعَ التَرْتِيلِ»، وهذه الآية تهز النفس هزاً لهذا المعنى: نزل القرآن كي نتدبره؛ ذلك أن القرآن فيه أوامر من أنزله، فينبغي للمؤمن أن يقرأه كقراءة الجندي والموظف في كتاب رئيسه ليعمل بمقتضاه وينفذ وصاياه، وإلا فما فهمنا لماذا أُنزل القرآن ولا عملنا بما فيه.

وقد قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ (محمد: ٢٤)؛ قال القرطبي: دلت الآية على وجوب تدبر القرآن لتعرف معناه.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، على سبيل التنبؤ، أنه سيأتي أناس من أمته يقرؤون كتاب الله بلا تدبر ولا عمل، فقال محذراً: «سيخرج أقوام من أمتي يشربون القرآن كشربهم اللبن» (رواه الطبراني بسند حسن)؛ قال المناوي في شرح الحديث: «يسلقونه بألسنتهم من غير تدبر لمعانيه، ويمر على ألسنتهم كما يمر عليها اللبن المشروب بسرعة»، لا جعلني الله وإياكم من هؤلاء القوم حتى لا نقع تحت طائلة هذا اللوم.

كيف نتدبر القرآن؟

أولاً: اقرأه على مكث:

﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾ (الإسراء: ١٠٦)؛ والمكث هو التروي والبطء حتى تعلم معانيه؛ ولذا قال عبدالله بن عباس معلياً قيمة التدبر: «لأن أقرأ البقرة وآل عمران وأرتلهما وأتدبرهما أحب إليَّ من أن أقرأ القرآن كله هذرمة»، وقال: «لأن أقرأ إذا زلزلت والقارعة أتدبرهما أحب إليَّ من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهذيراً».

إن من أسباب ضعف تدبر القرآن الإسراع بتلاوته، والحرص على الكم لا على الكيف، والكثرة لا الجودة؛ مما أدى لوجود ملايين الختمات في رمضان وغيره دون تغيير في السلوك، وتغيير في العادات، وللأسف قليل ما يغير القرآن أحداً اليوم مع أن أهم معجزات القرآن تغيير العقول والقلوب والأفهام، وهو أبلغ في الإعجاز من إعجاز اللغة والبيان، وإذا كان إحياء الموتى من الآيات التي حبا الله بعض أنبيائه ورسله، فإن إحياء أمة من الجهل والرذيلة والكفر وجعلها خير أمة أخرجت للناس هداية واستقامة وسلوكاً هو المعجزة الخارقة، التي تتضاءل إلى جوارها كل المعجزات والخوارق، لكن هذا الأثر التغييري لا يحدث مع أكثر الناس لما غابوا عن قراءة القرآن وتدبره.

ثانياً: أنت المخاطَب لا غيرك:

القرآن موجَّه لك في الأساس، نعم لقد نزل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم ليعالج أمور أصحابه، لكن العبرة في آياته بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهي وصية عبدالله بن مسعود: «إذا سمعت «يا أيها الذين آمنوا» فأرعها سمعك فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه».

وحين تقرأ حرب الله ورسوله على آكل الربا ثم تستمر في التعامل به والاقتراض الربوي، فماذا أسميك؟! وحين تقرأ ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ (الصافات: ٢٢) وأنت غارق في ظلم زوجتك أو أولادك أو رعيتك، فهل تقرأ القرآن حقاً؟!

إن من أهم أهداف الشيطان أن يصرف الناس عن خطاب ربهم، وأن يقيم بينهم وبين أنوار الوحي أسواراً من حديد حتى لا تصل أنوار القرآن إلى القلوب، وهذا الصرف عن الآيات يأخذ هذه الصور:

- لا يفكر القارئ في معاني ما يقرأ، يهمه كثرة الآيات المتلوة وحسب على حساب فهم معانيها، وهذه حال أكثر الناس.

- أو يفكر في معاني ما يقرأ من آيات، لكنه لا يعتبر نفسه مخاطباً بها، إنما خاطب الله بها أمماً سابقة، أو عنى بها المنافقين أو أهل الكتاب دون أن يشمله الخطاب القرآني.

- أو يعتبر نفسه مخاطباً بآيات القرآن، ولكنه يرى نفسه سالماً عما ذم القرآن دون أن يكلف نفسه عناء التفتيش في نفسه أو مراجعة سلوكه وعمله.

- أو لا يرى نفسه سالماً في التقصير، لكنه محسن في جوانب أخرى كثيرة وحسناته الكثيرة كفيلة أن تمحو تقصيره وسيئاته القليلة.

كل هذه حيل شيطانية تستهدف تحويل القرآن إلى ترانيم وتعويذات لا تغير واقعاً ولا تصحح سلوكاً، ودورك أن تتنبه لحيله وتفسد عليه خطته، وأنت لها إذا تدبرت القرآن بحق.

في المقال القادم، إن شاء الله، نكمل الأسباب المعينة على تدبر القرآن والانتفاع به.■

ميزان التنمية في الإسلام (2)

الدور الاقتصادي للدولة

د. أشـــرف دوابـــــه
أستاذ التمويل والاقتصاد بجامعة إسطنبول صباح زعيم

يعد دور الدولة عاملاً مهماً ورئيساً في تحقيق التنمية، والحرية الاقتصادية المنضبطة بضابط العدل، بالصورة التي تمكنها من توفير حد الكفاية والرفاه لرعاياها، قياماً بدورها في رعاية مصالح الناس الدنيوية والأخروية بمقتضى شرع الله من حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال.

فإذا كانت التنمية الاقتصادية تبدأ في النظام الاقتصادي الإسلامي من الفرد أو القطاع الخاص، فإن دور الدولة يظهر واضحاً جلياً في توفير البيئة المناسبة لتحقيق تلك التنمية، من خلال تنظيم الحياة الاقتصاديَّة، وتوجيه المشروعات الخاصة إلى ما يكفل تحقيق المصلحة العامة، واتخاذ الإجراءات التي تحقق بها مصالح المجتمع، ولا تتدخل الدولة إلا لإكمال ما يعجز القطاع الخاص عن إنجازه، باعتبار ذلك من فروض الكفاية التي تأثم الأمة إذا لم تتحقق.

ومن هنا، فإن الوظيفة الاقتصادية للدولة قيامها بالمشروعات المهمة التي تمس حياة أفراد المجتمع وضرورياتهم، من مرافق عامة وما يلزم من تعليم وصحة ونحوهما، فضلاً عن المشروعات الإستراتيجية التي لا يمكن تركها للأفراد من تسليح وتنمية الثروات الطبيعية، وكذلك المشروعات الضرورية التي عزف القطاع الخاص عن الدخول فيها إما لكبر حجمها أو قلة عائدها، مع التوجيه العام والرقابة العامة على الاقتصاد بصورة تجعل قاطرة التنمية ممثلاً في القطاع الخاص يعمل في بيئة صحية مناسبة، تمكنه كذلك من توفير التمويل اللازم للقطاع الخيري للقيام بدوره في تحقيق التكافل المجتمعي، وكل ذلك بما يحقق حد الكفاية لأفراد المجتمع.

وبذلك، لا تدخل الدولة منافساً للقطاع الخاص لمزاحمته وطرده، بل لدعمه وتحفيزه، وقد فطن إلى ذلك ابن خلدون – من قبل- حيث يرى أن «التجارة من السلطان مضرة بالرعايا مفسدة للجباية منقصة للعمارة»، كما تناول ذلك أبو الفضل الدمشقي -قبل ابن خلدون بعدة قرون- حيث قال: «الأمور المركبة من المغالبة والاحتيال هي كتجارة السلطان التي تكون فيها الطروح والابتياع والبيع الذي لا يقدر أحد أن يزيد عليه في حال الشراء ولا يمنع من تحكمه في البيع، وقد قال بعض الحكماء: إذا شارك السلطان الرعية

النظام الاقتصادي الإسلامي حرص على المنافسة الشريفة لتحقيق الكفاءة والعدالة للأسواق

قيام الدولة بالرقابة على النشاط الاقتصادي من خلال الحسبة للتأكد من التزامه بالأحكام الشرعية

في متاجرهم هلكوا، وإن شاركوه في حمل السلاح هلك».

إن الدولة في النظام الاقتصادي الإسلامي راعية؛ «الإمام راع ومسؤول عن رعيته»، فلا مكان فيها لما أرسته الرأسمالية من تسخير المجتمع لصالح القطاع الخاص باسم الدولة الحارسة التي تحكم ولا تملك، وشعار «دعه يعمل دعه يمر»، أو لما أرسته الاشتراكية من سيطرة الدولة على الاقتصاد وطرد القطاع الخاص والتأميم باسم الملكية العامة، فالدولة في النظام الاقتصادي الإسلامي لها الحق في دخول السوق كمنتج ومالك وموزع للموارد الطبيعية، وكمنظم للسوق من خلال الحسبة في إطار الحرية المنضبطة، والحسبة تعني: الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله.

وبذلك يرتبط تدخل الدولة بتوفير حاجات الناس وضروراتهم توسعاً وانكماشاً، وفق قواعد منضبطة قوامها المصلحة، وذلك بأن تتفق مع مقاصد الشارع الحكيم، وأن تكون مصلحة حقيقية لا وهمية، وأن تكون مصلحة عامة لا تخدم شخصاً أو فئة معينة، وأن تراعي الأولويات من ضروريات فحاجيات فتحسينات.

مع التأكيد على أن قيام الدولة بالرقابة على النشاط الاقتصادي من خلال وظيفة الحسبة للتأكد من التزامه بالأحكام الشرعية يدخل في المصالح العامة، كمراقبة الأسواق لمنع الاحتكار والربا والمقامرة والغرر والنجش والغش وتطفيف المكيال والميزان، وما يلزم أحياناً من تحديد للأسعار، فضلاً عن تنظيم ومراقبة سوق العمل وتحديد حد أدنى للأجور، بالإضافة إلى حالات نزع الملكية، وتنظيم الإنتاج والاستهلاك ووضع قيود على استيراد سلع معينة، واتخاذ إجراءات اقتصادية لتحقيق أهداف مشروعة مثل إجراءات خفض البطالة، أو تشجيع زراعة محصول معين، أو رعاية فئات اجتماعية معينة ونحو ذلك، وهذا كفيل برفع كفاءة الأسواق، ومن ثم النشاط الاقتصادي إلى أقصى حد.

وقد جاء في وصية الإمام عليّ رضي الله عنه التي وجهها للأشْتَرِ النَّخعي موصياً بالتجار: «استوص بالتجار وذوي الصناعات، وأوص بهم خيراً، المقيم منهم والمضطرب بماله، والمترفق ببدنه، فإنهم مواد المنافع، وأسباب المرافق، وجلابها من المباعد والمطارح، في برك وبحرك، وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها، ولا يجترئون عليها، فإنهم سلم لا تخاف بائقته، وصلح لا تخشى غائلته، وتفقد أمورهم بحضرتك، وفي حواشي بلادك.

واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً، وشحاً قبيحاً، واحتكاراً للمنافع، وتحكماً في البياعات، وذلك باب مضرة للعامة، وعيب على الولاة، فامنع من الاحتكار، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم منع منه، وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل، وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع، فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه فنكل به، وعاقبه من غير إسراف».

لقد حرص النظام الاقتصادي الإسلامي على المنافسة الشريفة لتحقيق الكفاءة والعدالة للأسواق، فالأصل في الإسلام عدم التدخل بفرض سعر معين للسلع المتداولة في الأسواق، حيث إن التعامل في شريعة الإسلام مبناه على الحرية وصحة ما يتراضى عليه المتعاقدان، لذا قطع السبل على كل وسيلة تحول دون ذلك فحرم الاحتكار والغش والتدليس والخديعة والغرر وتلقي الركبان وبيع

الوظيفة الاقتصادية للدولة قيامها بالمشروعات المهمة التي تمس حياة أفراد المجتمع وضرورياتهم

حاضر لباد والبيع على بيع أخيه والسوم على سومه، وفي هذا منع للضرر الذي يعوق حركة التعامل في الأسواق فضلاً عن الضرر الذي يتعرض له أصحاب السلع والمنتجات، يقول الله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾(النساء: ٢٩).

وروى أنس قال: غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا رسول الله، سعِّر لنا، فقال: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّزَّاقُ وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى رَبِّي وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَطْلُبُنِي بِمَظْلِمَةٍ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ»؛ وفي هذا يقول ابن القيم: «أمَّا التسعير فمنه ما هو ظلمٌ محرَّم، ومنه ما هو عدلٌ جائز، فإذا تضمن ظلم النَّاس وإكراههم بغير حق على البيع بثمن لا يرضونه، أو منعهم ممَّا أباحه الله لهم، فهو حرام، وإذا تضمن العدل بين النَّاس، مثل إكراههم على ما يجب عليهم من المعاوضة بثمن المثل، ومنعهم ممَّا يحرم عليهم من أخذ الزيادة على عوض المثل، فهو جائز، بل واجب.

فأمَّا القسم الأوَّل، فمثل ما روى أنس في الحديث السابق، فإذا كان النَّاسُ يبيعون سلعهم على الوجه المعروف من غير ظلم منهم، وقد ارتفع السعر -إمَّا لقلَّة الشيء (العرض)، وإمَّا لكثرة الخلق (الطلب)- فهذا إلى الله، فإلزام النَّاس أن يبيعوا بقيمة بعينها إكراهٌ بغير حق.

وأمَّا الثاني، فمثل أن يمتنع أرباب السلع من بيعها، مع ضرورة النَّاس إليها إلَّا بزيادة على القيمة المعروفة، فهنا يجب عليهم بيعها بقيمة المثل، ولا معنى للتسعير إلَّا إلزامهم بقيمة المثل، فالتسعير ها هنا إلزام بالعدل الَّذي ألزمهم الله به»■

قواعد عسكرية تركية في سورية.. الفرص والانعكاسات

كانت تركيا في مقدمة الأطراف الخارجية الرابحة من تغير النظام في سورية، وتتقدم مكاسبها الآنية المباشرة وجود نظام جديد ينظر للعلاقات معها بإيجابية، ويريد لها مكانة مميزة بعد نظام بشار الأسد الذي كان يناصبها العداء ويماطل في تطبيع العلاقات معها، وتطور العلاقات الاقتصادية والتجارية بين البلدين، وعودة سورية لتكون بوابة العالم العربي للتجارة البرية التركية، فضلاً عن دور متقدم متوقع لأنقرة في إعادة الإعمار في سورية، والعودة المرتقبة للسوريين المقيمين في تركيا.

د. سعيـــد الحـــاج
محلل سياســي مختص بالشأن التركـــي

إن أهم المكاسب الأكثر أهمية ذات الطابع الإستراتيجي والمرتبطة بالأمن القومي والمسارات طويلة الأمد شرعنة الوجود العسكري التركي على الأراضي السورية، ووحدة الموقف مع الرئاسة السورية حول وحدة الأراضي السورية ورفض سيناريوهات التقسيم والفدرالية، وانعكاس الاستقرار في سورية على الأمن القومي التركي، وضعف موقف قوات سورية الديمقراطية (قسد) وبالتبعية العمال الكردستاني، والدور المحتمل لأنقرة في إعادة بناء وتطوير المؤسسات السورية وخصوصاً العسكرية والأمنية، واحتمال ترسيم الحدود البحرية، وأخيراً وليس آخراً ومن ضمن الأهم احتمال إنشاء قواعد عسكرية تركية على الأراضي السورية.

تحدثت عدة تقارير إعلامية عن احتمال اتفاق أنقرة مع دمشق على إنشاء قواعد عسكرية على الأراضي السورية، وهو ما لم تنفه بل عضدته تصريحات بعض المسؤولين الأتراك، بل وتجاوزت بعض التقارير ذلك لتحديد أماكن القواعد المقترحة؛ ما يشير إلى وجود نية أو حوار بين الجانبين بهذا الخصوص، كما أن السياق الجيوسياسي والتهديدات المستجدة على

أهم المكاسب الإستراتيجية المرتبطة بالأمن القومي شرعنة الوجود العسكري التركي على الأراضي السورية

سورية والعلاقات المتنامية بين الجانبين تجعل خياراً من هذا النوع مرجحاً وليس فقط محتملاً.

من شأن خطوة من هذا القبيل أن تعمّق العلاقات بين الدولتين الجارتين على المستويات القريبة والمتوسطة والبعيدة على حد سواء، وأن تصل لدرجة الربط المصيري بينهما بسياق لم يكن معهوداً سابقاً حتى في أفضل مراحل العلاقات بين البلدين سابقاً.

كانت تركيا ضمن الدول القليلة الداعمة للثورة السورية وفصائلها السياسية والعسكرية لسنوات طويلة، وكان لوجودها في الشمال السوري دور محوري في الإبقاء على إدلب كمنطقة بعيدة عن سيطرة النظام وعصية على الإنهاء.

ومع عملية «ردع العدوان»، قدمت أنقرة غطاء سياسياً ودعماً غير مسبوق بقيادة

مساع دبلوماسية لإقناع كل من روسيا وإيران بعدم التدخل لدعم نظام الأسد وحض باقي الأطراف الإقليمية والدولية على دعم المرحلة الجديدة في سورية بعد هرب الأسد، كما أن التصريحات الرسمية الصادرة عن الرئيس السوري في المرحلة الانتقالية أحمد الشرع أكدت العلاقات الخاصة مع أنقرة التي شكر لها «وقفتها التاريخية» مع الشعب السوري في ثورته.

إن بناء قواعد عسكرية لتركيا على الأراضي السورية يجعل العلاقات بين البلدين أكثر من إيجابية ومتميزة، ويصل بها حدود التحالف، بل يمكن القول: إن تركيا ستكون الدولة الحامية لسورية الجديدة والضامنة لها إقليمياً ودولياً، بشكل غير معلن وغير رسمي طبعاً، خصوصاً وأن هناك حديثاً متكرراً عن السماح لتركيا باستخدام الأجواء السورية؛ ما يجعل أي عمل عسكري ضد الدولة السورية في المرحلة المقبلة يصطدم بالوجود التركي العسكري المباشر على الأرض، ما يفرض إعادة الحسابات أو التنسيق أو الإخبار بالحد الأدنى قبل أي خطوة من هذا القبيل.

كما يعني ذلك أن الكيان الصهيوني بات يملك عملياً وليس رسمياً حدوداً مشتركة مع تركيا، من زاوية الحدود المفترضة المرنة، بعد أن كان نظام الأسد حاجزاً بينهما، يدفعنا ذلك للتذكير بالتعارض الكبير في المصالح بين تركيا والكيان في سورية بعد سقوط النظام، إذ تدعم تركيا القيادة الجديدة وتريد استقرار الأوضاع في سورية ووحدة أراضيها، وترى في قوات سورية الديمقراطية خطراً على أمنها القومي، بينما يحرض الاحتلال على القيادة الجديدة واصماً إياها بالإرهاب، ويشكل اليوم الخطر الأكبر على استقرار سورية ويتحدث عن «قسد» كحليف طبيعي يتواصل معه لمواجهة تركيا نفسها.

أكثر من ذلك، فبعد سنوات من إضافة الكيان لتركيا على قائمة المهددات له، وفق تصنيف مؤسساته الأمنية والعسكرية، أوصت لجنة «ناجل» حكومة الاحتلال بالاستعداد لإمكانية المواجهة العسكرية مع تركيا بعد سنوات، لا يعني ذلك أن مواجهة من هذا النوع عالية الاحتمال اليوم أو ستحصل قريباً جداً، لكن مجرد وضع الاحتلال الأمر ضمن الاحتمالات الممكنة يشير لمدى التغير في الأوضاع الجيوسياسية ومنظومات التحالف والتعاون والتهديد في المنطقة؛ وبالتالي فإن وجود قواعد عسكرية تركية على الأراضي السورية يعني حماية ضمنية لسورية من التهديدات «الإسرائيلية».

وإن إنشاء القواعد يساهم في تقوية الموقف التركي ومعه القيادة السورية الجديدة، وإضعاف موقف العمال الكردستاني فيما يتعلق بملف «قسد»، الذي تدور حوله مفاوضات بين دمشق وقيادة «قسد» حتى اللحظة دون مخرجات واضحة أو حاسمة، ما يبقي تلويح أنقرة بعملية عسكرية ضدها ضمن الاحتمالات القائمة.

إقليمياً، تقلب فكرة القواعد العسكرية التركية على الأراضي السورية معادلات التنافس الإقليمي في سورية والمنطقة

وجود قواعد عسكرية تركية بسورية يعني حماية ضمنية لدمشق من التهديدات «الإسرائيلية»

أنقرة تعي التحديات والأخطار المحتملة لذلك تصوغ سياساتها بخصوص سورية بكثير من الحذر والهدوء

رأساً على عقب، وترسخ المكاسب التركية المذكورة وغيرها وتمنحها صفة الديمومة.

على مدى سنوات طويلة، كانت روسيا المتحكم الأكبر في الملف السوري في المساحات التي تركتها الولايات المتحدة المستأثرة بمناطق شرق نهر الفرات، وكانت تركيا لسنوات طويلة في موقف دفاعي في سورية، بعد أن تقلصت مناطق خفض التصعيد من أربع لواحدة، وفككت أنقرة بعض نقاط مراقبتها في الشمال السوري، وفق اتفاق سوتشي، بعد محاصرة قوات النظام لها.

اليوم، يمكن أن يتوج متغير من هذا النوع، حال حدوثه، المكاسب التركية المذكورة ليمنحها ما هو أكثر من النفوذ الروسي السابق، بعد انكفاء موسكو نحو قواعدها العسكرية (التي لم يحسم مصيرها بعد) وخرجت إيران بشكل شبه كامل من الملف السوري.

كما سيكون لذلك تأثيرات مباشرة وغير مباشرة على حالة التنافس الإقليمي والمعادلات الجيوسياسية في المنطقة في عدة قضايا وصراعات وملفات بشكل يقوي الموقف التركي، من البحر الأسود لليبيا، ومن العراق للبنان، ومن جنوب البلقان للقوقاز.

وإضافة إلى ما سبق تفصيله عن الكيان الصهيوني، فإن ذلك سيعزز أوراق القوة التركية في وجه المطامع اليونانية في شرق المتوسط وجزر بحر إيجه، لا سيما إذا ما أضيف لذلك فكرة ترسيم الحدود البحرية بين تركيا وسورية، وهي فكرة مطروحة على الطاولة وترغبها أنقرة بشدة.

وأخيراً، فإن كل ما سبق من مكاسب متحصلة أو متوقعة في المستقبل، ليست بلا أخطار أو تحديات بالنسبة لتركيا كما سورية، إن كان من قبل الأطراف المتضررة من الحالة الجديدة في سورية ودعم أنقرة لها، أو بسبب تعثر الأوضاع وتراجع الاستقرار في سورية في حال حدث، تلقائياً أو بفعل تدخل خارجي، ولعل أنقرة تعي هذه التحديات والأخطار المحتملة؛ ولذلك تصوغ سياساتها بخصوص سورية بكثير من الحذر والهدوء في الفترة الحالية، وتؤكد طمأنة مختلف الأطراف على عدم استئثارها أو تفردها في سورية وعلى مراعاة مصالح الجميع.■

اليهود.. البداية والنهاية (13)

الحياة السياسية لليهود في يثرب

الشيخ خالد آل عبد اللاه
داعيـــــة إسلامـــــي

سادت في يثربَ أجواءُ التنافس والصراع على السلطة بين اليهود أنفسهم من ناحية، والعرب واليهود من ناحية أخرى؛ حيث انقسم اليهودُ فيما بينهم بسبب تشتتهم القبلي، فاستوطنت كل قبيلة موقعاً إستراتيجياً يخدم أهدافها ويمثل نقطة قوة لها، أما بنو قريظة فقد تمركزوا في مناطق يثرب الجنوبية الشرقية، وكانوا يتميزون بقوتهم العسكرية وصناعة السلاح، فابتنوا هنالك حصوناً وقلاعاً قوية لأغراض الحرب.

وبنو النضير استوطنوا المناطق الغربية التي تميزت بخصوبة أرضها؛ ما جعلهم بارعين في الزراعة، وبنو قينقاع تمركزوا في السوق؛ لأنهم كانوا يشتغلون بصياغة الحلي والتجارة العامة، وقد أثر هذا التوزيع الجغرافي والانقسام القبلي في تشكيل موازين القوى والتحالفات مع القبائل الأخرى التي سكنت يثرب بعد ذلك.

هجرة الأوس والخزرج إلى يثرب:

هاجرت الأوس والخزرج من اليمن إلى يثرب بعد حادثة سيل العرم، وكانت يهود قد استوطنت يثرب قبلهم وبسطت نفوذها على كل مناطقها، فكانت لهم الكلمة العليا فيها، ونزل الأوس والخزرج على اليهود فعاشوا في كنفهم، ولاذوا بجوارهم، ورضي العرب بوضعهم الاقتصادي السيئ إلى جوار اليهود، لكن اليهود بالغوا في إيذائهم فأمعنوا في الإساءة إليهم، وأذلوهم ذلاً أنفت منه نفوس العرب، ففكروا في التخلص منهم أو على الأقل إخضاعهم لسلطتهم.

وقد هداهم تفكيرهم إلى أن يطلبوا العون من عمومتهم الغساسنة، فهم أقرب الناس إليهم وأولى من غيرهم في نصرتهم، فأرسلوا إلى أبي جبيلة الغساني وفداً شكا إليه اليهود، ووصف له سوء معاملتهم لهم، واضطهادهم إياهم فحمى أبو جبيلة وأقسم أن يذل اليهود ويسلم مقاليد الأمور للعرب.

اليهود انقسموا فيما بينهم بسبب تشتتهم القبلي فاستوطنت كل قبيلة موقعاً إستراتيجياً يخدم أهدافها

جهز أبو جبيلة جيشاً عظيماً، وأقبل كأنه يريد اليمن، ونزل مكاناً قريباً من يثرب، وأرسل إلى الأوس والخزرج، فلما حضروا وصلهم وأعطاهم، ثم أرسل إلى اليهود رسولاً نادى فيهم من أراد الحباء من الملك فليخرج إليه، وكانت هذه حيلة بارعة حتى لا يتحصن اليهود بآطامهم فلا يقدر عليهم، فخرج إليه أشراف اليهود، وأمر لهم بطعام، فلما اجتمعوا عليه قتلهم، ولم يبقِ منهم أحداً، وعندئذ عز الأوس والخزرج، وسيطروا على إدارة يثرب وشؤونها، فشاركوا اليهود في النخل والدور وأصبحت لهم الكلمة الأولى فيها بعدما تجرعوا طعم الذل على يد اليهود.

عاش اليهود في جوار العرب حلفاء لا صرحاء، فلجأ كل قوم من اليهود إلى بطن من الأوس والخزرج يعتزون بهم؛

لضمان استمرار الصراع بين العرب في يثرب لجأ اليهود إلى استخدام سياسة «فرِّقْ تسُدْ»

إذ تحالفت قريظة والنضير مع الأوس، كما تحالفت قينقاع مع الخزرج، حتى كان الرجل منهم إذا نزلت به النازلة يذهب إلى حلفائه من العرب ولا يذهب إلى قومه من اليهود، ويقول: إنما نحن جيرانكم ومواليكم.

تحول دور العرب في يثرب من قبائل مهاجرة من جنوب الجزيرة العربية، إلى أصحاب نفوذ وزعامة وسلطة على اليهود وغيرهم، حيث تعايشت القبيلتان في يثرب فترة من الزمن دون أي خلافات تذكر، إلى أن نشبت بينهم خلافات عميقة، وصراعات طويلة لرغبة كل منهما في التفرد بقيادة زمام الأمور في يثرب، وصلت إلى حد الحروب الطاحنة؛ إذ استمرت هذه الحرب قرابة ١٢٠ عاماً، بدأت بيوم «سمير»، وانتهت بحرب «بعاث» التي كانت قبل البعثة بـ٥ سنوات.

وقد كان لليهود دور خطير في استمرار الحرب واشتعالها بين القبائل العربية طيلة هذه المدة الزمنية، إذ كانوا يعتقدون أن ائتلاف العرب ووحدة صفهم يمثل ضياعاً لمستقبل يهود وانتهاء لفترة وجودهم في يثرب، فكان لزاماً على يهود أن يظل الصراع بين الأوس والخزرج مشتعلاً.

سياسة «فرِّق تسُدْ» عند اليهود:

وقد لجأ اليهود لضمان استمرار الصراع بين العرب في يثرب إلى استخدام سياسة «فرِّقْ تسُدْ»؛ التي تهدف إلى إضعاف قوة الخصم من خلال تقسيمها إلى فئات متنازعة فيما بينها؛ ما يمنع اتحادها ضد أي عدو مشترك، ثم إثارة الفتنة الطائفية، والتحريض على العنصرية، ونشر روح الانتقام بينهم، ثم إشعال حروب داخلية وخارجية تنتهي بإنهاك قوى كافة الأطراف.

يقول د. محمد الوكيل: لقد كان في استطاعة اليهود تكوين قوة ثالثة في يثرب يضغطون بها على كلا الطرفين المتخاصمين حتى يُذعنا للصلح، ويرضيا بإنهاء الحرب، ولكن ذلك لا يحقق لهم ما يريدون، إن في إنهاء الحرب قوة للعرب لا يحبها اليهود، لا سيما أن اليهود كانوا منتفعين من جراء هذه الحرب، حيث كانوا بارعين في صناعة السلاح، وفي الإقراض بالربا، وفي استمرار الحرب منفعة اقتصادية عظيمة؛ لذا وقفوا متفرجين، لم يعرضوا الصلح، ولم يتدخلوا لإنهاء الحرب.

اليهود وسياسة التفريق عبر التاريخ:

وهذه سياسة اليهود في كل عصر عاشوا فيه ومصر حلوا به، ففي الإمبراطورية الرومانية كان اليهود يدعمون بعض الفئات والأحزاب المحلية المتصارعة ضد بعضها بعضاً؛ حتى يضمنوا العيش بينهم في أمان، وفي أوروبا وخلال العصور الوسطى، كان اليهود يقدمون أنفسهم على أنهم وسطاء اقتصاديين وتجاريين بين النبلاء والطبقات الفقيرة؛ ما ساهم في حدوث التوترات الطبقية، والانقسامات المجتمعية وازدياد غضب الجماهير، بصورة تخدم مصالحهم، وتضمن بقاء وجودهم آمنين.

ولقد علم أعداء الإسلام أنهم لن يستطيعوا السيطرة على بلادنا ونهب ثرواتنا وخيراتنا إلا إذا تفرقنا وتشرذمنا، ومن هنا اجتمع الثلاثي الماكر؛ فرنسا وبريطانيا وإيطاليا بمباركة روسية، وخططوا لتقسيمها وتمزيق جسدها، فيما عرف باتفاقية «سايكس بيكو» حتى أصبحت الأمة كغثاء من النفايات البشرية، تعيش على ضفاف مجرى الحياة الإنسانية كدويلات متمزقة متحاربة، تفصل بينها حدود جغرافية مصطنعة، ونعرات قومية بغيضة، وترفرف في سمائها رايات القومية والوطنية، وتحكمها قوانين الغرب العلمانية، وتدور بها الدوامات السياسية، فلا تملك الأمة نفسها عن الدوران، بل ولا تختار لنفسها حتى المكان الذي تدور فيه!

.. وعاشوا في جوار العرب حلفاء لا صرحاء فلجأ كل قوم إلى بطن من الأوس والخزرج يعتزون بهم

لقد استطاعوا أن يحققوا مرادهم ويسقطوا هيبة خير أمة أخرجت للناس حتى طمع فيها الضعيف قبل القوي، والقاصي قبل الداني، وأصبحت في ذيل القافلة الإنسانية، تتسول على موائد الفكر الإنساني ممن أحرقهم لفح الهاجرة القاتل، وأرهقهم طول المشي في التيه والظلام، وأصبحت الأمة المتشرذمة تتأرجح في سيرها، بل لا تعرف طريقها الذي ينبغي أن تسير فيه، بعد أن كانت الأمة بالأمس القريب الدليل الحاذق الأريب في الدروب المتشابكة، وفي الصحراء المهلكة التي لا يهتدي للسير فيها إلا الأدلاء المجربون.

لقد كانت أمة الإسلام قائدة ورائدة، ترفرف رايتها على ربوع الكرة الأرضية من أقصاها إلى أقصاها، يوم أن كانت متحدة متماسكة، تنفذ أمر ربها: ﴿وَلَا تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال: ٤٦)، بل كانت مرهوبة الجناب، يحسب لها ألف حساب.■

المراجع

١- يثرب قبل الإسلام.

٢- مكة والمدينة، د. أحمد الشريف.

٣- موسوعة ويكيبيديا (بتصرف).

٤- أزمة أمة، محمد حسان.

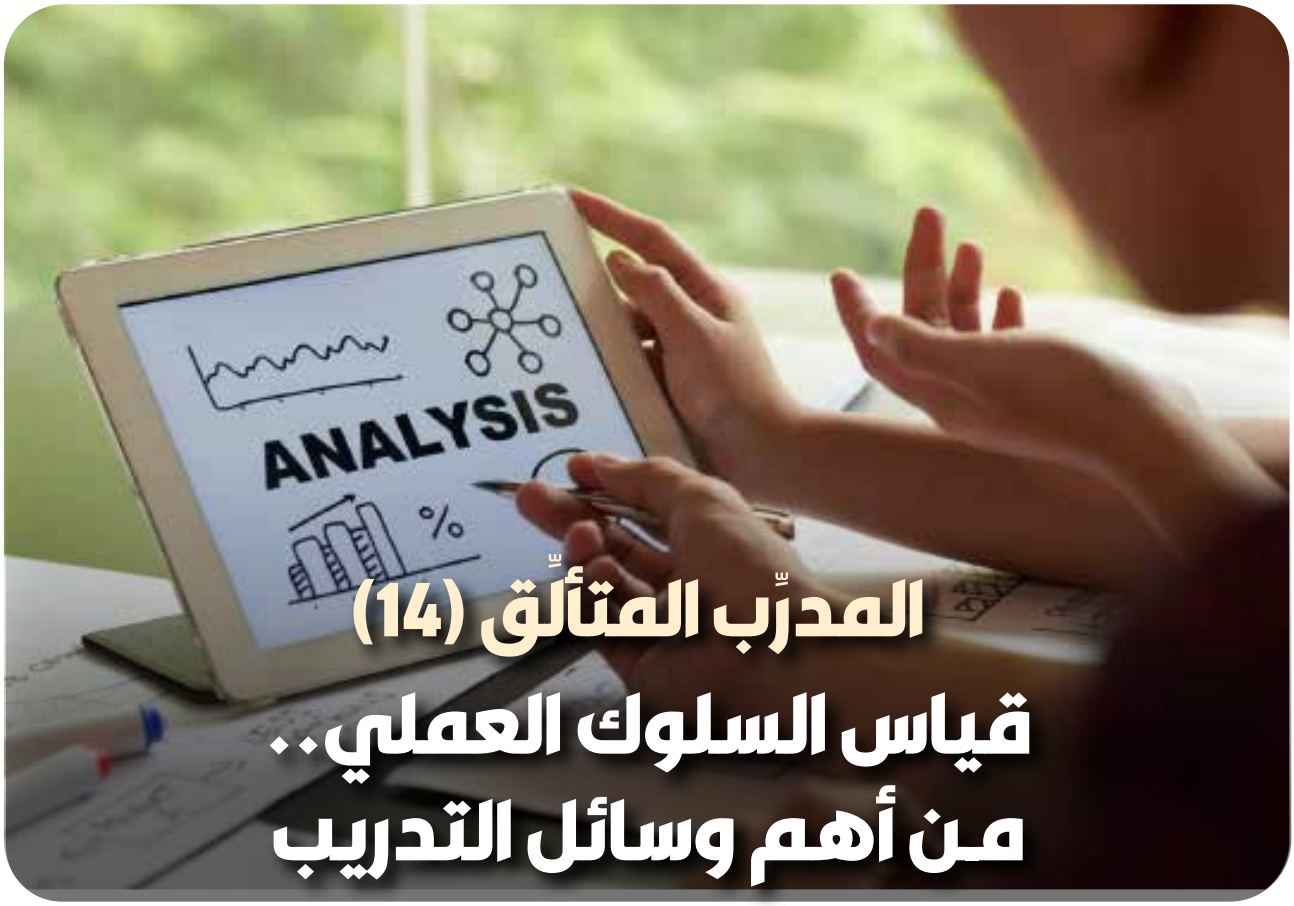

المدرِّب المتألِّق (14)

قياس السلوك العملي.. من أهم وسائل التدريب

د. موسى المزيدي
مدرب معتمد في المهارات الإدارية والقيادية

ما زلنا مع عرض وسائل التدريب الآسرة للمتدربين، والجاذبة لانتباههم، التي يجب أن يحرص عليها المدرب المتألق؛ لنجاح دورته التدريبية.

- قياس السلوك العملي:

المدرب المتألق هو الذي يحيط المتدربين علماً بما لديهم من معرفة بالمهارات السلوكية، والتطبيق العملي لها في حياتهم الخاصة والعامة.

مثال (١): في إحدى الدورات لمركز ابن الهيثم للتدريب أثناء الخدمة، في ٦ أكتوبر ٢٠١٩م، وكانت بعنوان «كيف تنجو من ضغوط العمل؟»، تم قياس معدل ضغط العمل الذي يعانيه المتدربون في حياتهم العملية.

في هذا التمرين، أجاب المتدربون عن ٥٠ سؤالاً بـ«نعم» أو «لا»، وجميع الأسئلة تتناول مواقف تصف فيها مصادر ضغوط العمل في الحياة، قد يكون مصدرها من نقص في الوقت، أو نقص في المعلومات، أو نقص في المال، أو نقص في الجهد.

وقد يكون مصدر ضغوط العمل عدم وضوح الرؤية، أو غياب رسالة المؤسسة، أو عدم تحديد الأهداف، أو عدم وجود خطة، أو عدم التجديد والتغيير فيها.

وقد يكون مصدر ضغوط العمل عدم الاستقرار الاجتماعي لدى الموظفين وانعكاس ذلك على بيئة العمل.

ويتم فيما بعد حساب المعدل العام لجميع المتدربين، والكشف عن النتائج، ويتم توزيع الجوائز لمن يرصد ١٦ - ٢٠ إجابة بـ«نعم»، حيث هذا هو المعدل الطبيعي العام لضغوط العمل في الحياة، وأوضح لهم أن التخلص من ضغوط العمل كلية أمر محال، بل أن جمال الحياة يقتضي وجود شيء من ضغوط العمل فيها!

أما من يرصد من ٣٦ - ٥٠ إجابة بـ«نعم»، فننصحه بمراجعة طبيب لأمراض القلب بعد الدورة التدريبية مباشرة؛ لأنه يعاني ضغوطاً شديدة في حياته.

ومن الملاحظ في هذا التمرين أن معظم الأسئلة تدور حول أداء عدة مهمات في آن واحد، والرغبة الجامحة في إنجازها بسرعة شديدة، ثم قبول مهمات أخرى من دون استراحة قصيرة بين كل مهمة والتي تليها.

قال لي أحد المتدربين: إن نتيجتي في هذا التمرين هي ٣٧ إجابة بـ«نعم»! هنا نصحته أن يقلل من المهمات التي يقبل بها

المدرب المتألق يحيط المتدربين علماً بما لديهم من معرفة بالمهارات السلوكية والتطبيق العملي لها

في حياته، وأن يتعلم كيف يقول: «لا» عندما يشعر بضيق في الوقت لإنجازها، وأن يكثر من الاستراحات بين المهمات.

مثال (٢): في إحدى الدورات التدريبية لمركز ابن الهيثم للتدريب أثناء الخدمة، في ١٠ سبتمبر ٢٠٢١م، وكانت بعنوان «فن حل المشكلات واحتواء التوتر وضغوط العمل»، تم قياس معدل الضغوط النفسية التي يعانيها المتدربون في حياتهم الاجتماعية.

في هذا التمرين، أجاب المتدربون عن ٤٣ سؤالاً، قد تم إعدادها بواسطة عالمَيْن من علماء النفس، ويحمل عنوان «مقياس هولمز وراهي للإجهاد في الحياة الاجتماعية»، وذلك خلال سنة واحدة قد مضت من حياة المتدرب.

ويشير هذا التمرين إلى أن أكبر عامل للتوتر والإجهاد والضغوط المجتمعية والنفسية هو وفاة الزوجة أو الانفصال عنها أو طلاقها، ومثلها للزوجة حينما يتوفى زوجها أو تنفصل عنه أو يطلقها، ويُعطَى لهذه العوامل نقاط تتراوح بين ٦٣ - ١٠٠ نقطة، وهي الأعلى في هذا المقياس.

وإن أصغر عامل للتوتر والإجهاد والضغوط المجتمعية والنفسية في هذا المقياس هو الحصول على مخالفة مرورية، وعدم دفع فاتورة الهاتف أو فاتورة الكهرباء، ويعطى لهذه العوامل نقاط تتراوح بين ١١ - ١٩ نقطة، وهي الأدنى في هذا المقياس.

ويقوم كل متدرب بجمع نقاطه في نهاية التمرين، فإذا رصد واحد منهم أقل من ١٥٠ نقطة؛ فهو بخير، وأبعد ما يكون عن الإصابة بأمراض نفسية وجسدية، وإذا رصد أكثر من ٣٠٠ نقطة، فهو ليس بخير، ومعرض للإصابة بأمراض نفسية وجسدية! وعليه أن يراقب نفسه عن قرب!

مثال (٣): في إحدى الدورات التدريبية التي قُدمت لشركة صناعات الكيماوية البترولية، في ١٦ نوفمبر ٢٠١٧م، وكانت بعنوان «كيف تحفز الآخرين بلا تكلفة»، تم التطرق لعقبات تحفيز النفس، وقياس مدى ممارسة المتدربين لهذه العقبات، وتم توجيه ١٥ عقبة لهم، وكلها من توافه الحياة، ولكنها قد تقف عائقاً دون تحفيز النفس.

من هذه العقبات الشعور بالامتعاض والاعتراض على توافه الأمور في حياتنا، مثل: وصول وجبة الطعام باردة خلاف التوقعات، ومنها تأخر صرف الراتب يومين، ومنها تأخر وصول صديق لك في الوقت الذي حددته له، ومنها رؤية ملابسك غير مرتبة وغير مكوية، وغيرها من توافه الحياة.

الغريب في الأمر أن من يرصد ٠ - ٣ نقاط في هذا التمرين، هو الذي لا تشغله التوافه عن تحقيق أهدافه في الحياة، وينطلق نحو تحقيقها بحيوية ونشاط وحماسة.

والعجيب في الأمر! أن قليلاً من المتدربين من يرصد هذه الدرجة، لا تكاد تجد شخصاً واحداً من أصل ٢٥ شخصاً يرصد هذه الدرجة، في حين تجد معظم المتدربين يرصد ما بين ٩ - ١٥ نقطة! وهذا دليل على انشغال معظمنا بتوافه الأمور في حياتنا، وهذه التوافه تقف عائقاً أمام تحقيق أهدافنا العظيمة في حياتنا.

مثال (٤): في إحدى الدورات التدريبية لصالح بلدية دبي بمركز تدريب البلدية، التي أشرف مركز التفكير الإبداعي على إنجازها، في ٥ أكتوبر ٢٠٠٨م، وكانت بعنوان «قوة الثقة بالنفس»، تم اختبار درجة الثقة بالنفس للمتدربين، حيث تم توجيه ٥٠ سؤالاً لهم، وينبغي أن تكون إجابات المتدربين بـ«نعم» أو «لا».

.. ويقيس درجة فهمهم للموضوعات المطروحة بالدورة وتشجيعهم على الحوار والنقاش حول النتائج

والخبر السعيد أنه في معظم الأحيان يرصد المتدربون ما بين ٣٧ - ٥٠ إجابة بـ«نعم»، وهذا يدل على ثقة المتدرب العالية بنفسه.

من الأسئلة التي يشملها هذا الاختبار: هل تحافظ على ابتسامتك عند مرورك بمشكلة؟ وهل تحافظ على حسن قامتك في مشيتك؟ وهل تستعد مسبقاً لأي كلمة تلقيها بمقدمة قوية وخاتمة قوية؟ وهل تحرص على خلو كلامك من حشو الكلام الذي لا داعي له؟

مثال (٥): في إحدى الدورات لبنك الائتمان بدولة الكويت، تحت إشراف معهد تنمية الطاقة للتدريب الأهلي، في ٢٠ أكتوبر ٢٠١٩م، تم توجيه ٢٠ سؤالاً للمتدربين حول تحديات التغيير في بيئة العمل، وكان متوسط أداء المتدربين بحدود ٧٥٪، وكان هدف الدورة جسر هذا الفارق، وسد هذه الثغرة بين المتدربين، وفهمهم لموضوع التغيير في بيئة العمل.

لذلك، فالمدرب المتألق هو الذي يقيس درجة فهم المتدربين للموضوعات المطروحة في الدورة التدريبية، وتشجيع المتدربين على الحوار والنقاش حول النتائج.■

النسوية الراديكالية.. مشروع لمعاداة الرجل واستئصال الأسرة

برزت الحركات النسوية في الغرب كرد فعل على ما تعرضت له المرأة من تهميش واستغلال عبر العصور، حيث كانت تعاني من قيود اجتماعية وقانونية تجعلها في مرتبة أدنى بكثير من مرتبة الرجل، هذه المعاناة دفعت العديد من النساء والمفكرين إلى المطالبة بتحسين أوضاع المرأة؛ ما أدى إلى ظهور الفكر النسوي بمدارسه المختلفة، منها من طالب بالحقوق الأساسية للنساء، ومنها من بالغ في تلك المطالبات، ومنها ما يمكن تصنيفه على أنها تيارات فكرية متطرفة تسعى لتغيير البنية الاجتماعية بالكامل.

د. كاميليا حلمي
رئيسة لجنة الأسرة بالاتحاد العالمي لعلمـاء المسلميـن

عانت المرأة في أوروبا، قبل ظهور الحركات النسوية، من أوضاع قاسية، حيث كانت محرومة من الحقوق الأساسية مثل التعليم، والعمل، والتملك، ففي العصور الوسطى، كانت المرأة تُعتبر ناقصة الأهلية القانونية، وتخضع تماماً لسلطة الأب أو الزوج، الذي كان يستمد سلطته من البطريرك في الكنيسة، الذي كان بدوره يستمد سلطته من الإله، ومن هنا جاءت كلمة «البطرياركية»، التي ترجمت إلى «الأبوية» و«الذكورية».

وكانت المرأة في تلك العصور تعامل معاملة الحيوان، فتباع وتشترى، حتى إنهم صنعوا لها لجاماً يسمى «لجام التوبيخ»، يستخدمه الزوج إذا أراد إسكاتها عن الكلام! وتم توظيف النصوص الدينية المحرفة لتبرير حرمان النساء من حقوقهن، فكانت تُحرم من الإرث في كثير من الأحيان، وتُمنع من المشاركة في الحياة العامة.

رغم أن نشأة النسوية كانت مدفوعة بمطالب مشروعة فإنها تحولت إلى أيديولوجيا تتبنى صراعاً بين الجنسين

وفي ظل الثورة الصناعية، ازدادت معاناة النساء، حيث تم استغلالهن في المصانع بأجور زهيدة وساعات عمل طويلة، دون أي ضمانات أو حقوق، وحرمانهن من أي استقلالية مالية أو قانونية؛ ما جعل الظروف مهيأة لظهور مطالبات بالتغيير.

من المطالبة بالإصلاح إلى أيديولوجيا متطرفة:

جاءت الموجة الأولى التي حملت اسم «حركة تحرير المرأة» في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وركزت على نيل المرأة حقوقها الأساسية، مثل: التعليم، وحق التملك، وحق التصويت في الانتخابات، وكانت هذه المطالب تُطرح تحت شعار تحقيق العدالة وليس من باب الصراع مع الرجل، حيث كانت المرأة في ذلك الوقت تبحث عن إصلاحات تنسجم مع الفطرة البشرية، وذلك مع عدم إنكارها لوجود

النسوية الراديكالية لا ترى في الرجل شريكاً طبيعياً للمرأة بل تصوره كعدو لها و«مستعمر» لجسدها وعقلها!

الرجل في حياتها كزوج، ومع قيامها بأدوارها الفطرية كزوجة وأم داخل الأسرة.

لكن مع مرور الوقت، برزت الحركة النسوية الراديكالية في الستينيات من القرن العشرين، التي تبنت نظرة أكثر راديكالية، حيث لم تكتفِ بالمطالبة بالمساواة في الحقوق، بل سعت إلى إعادة تشكيل مفهوم الأسرة والعلاقات الاجتماعية، وهو ما انعكس في شعارات مثل «تحرير المرأة من سلطة الرجل»، و«الاستقلال التام للمرأة».

أما الموجة الثالثة والرابعة، فقد تجاوزت المطالبة بالمساواة إلى الترويج لأفكار تهدف إلى تغيير البنية الأسرية بالكامل، والتشكيك في الأدوار الفطرية للمرأة والرجل، كاختصاص الرجل بمهام القوامة، واختصاص المرأة بمهام الأمومة ورعاية المنزل؛ ما أدى إلى تصاعد الجدل حول مدى تأثير هذه الأفكار على استقرار المجتمعات.

الإسلام أعطى المرأة حقوقها المشروعة من حق التملك والإرث والتعليم وسمح لها بالعمل وفق الضوابط الشرعية

ورغم أن نشأة النسوية كانت مدفوعة بمطالب مشروعة لتحسين أوضاع النساء في الغرب، فإن الحركة سرعان ما تحولت إلى أيديولوجيا تتبنى صراعاً مفتعلاً بين الجنسين، وتدعو إلى العداء بين الرجل والمرأة، وتعمل على إزاحة الرجل من حياة المرأة تماماً.

ولم تتوقف النسوية الراديكالية عند مهاجمة الرجل وإشعال فتيل العداء بينه وبين المرأة، ولكن سعت أيضاً إلى تفكيك الأسرة بالكامل، حيث يرى هذا التيار أن الأسرة التقليدية مؤسسة قمعية تهدف إلى إبقاء المرأة في دور «الزوجة والأم»؛ ما يجعلها -بحسب زعمهم- رهينة للمنظومة الذكورية، ومن هنا، بدأ الترويج لفكرة الاستقلالية المطلقة للمرأة، والتشجيع على العيش الفردي، وتقليل أهمية الزواج والأمومة، بل واعتبار الإنجاب نفسه عبئاً يجب التخلص منه عبر دعم الإجهاض، من باب الحرية التامة في الجسد، وهو شعار أساسي من شعارات النسوية الراديكالية: «جسدي ملكي»، «جسدي اختياري».

من أبرز الدلائل على ذلك انتشار حملات، مثل: «لا تحتاجين لرجل في حياتك»، «أنت قوية ومستقلة»، «الأمومة عبودية»، «عبودية التناسل»، وهذه الأفكار تجد صداها في السياسات الحديثة التي تحاول الحد من تكوين الأسرة الفطرية الطبيعية، مثل تغيير أولويات الفتيات نحو الدراسات العليا، والوظائف الرفيعة، ليصبح الزواج في نهاية سلم الاهتمامات، وفي المقابل، تقديم تسهيلات قانونية كبيرة للطلاق، والترويج للعلاقات الشاذة كبديل للعلاقة الفطرية بين الرجل والمرأة.

تجريم العلاقة الزوجية.. نموذج لتطرف النسوية:

في ظل هذا الفكر المتطرف، بدأ الحديث عن مصطلح «الاغتصاب الزوجي»، وهو مفهوم تسعى النسويات الراديكاليات إلى ترسيخه قانونياً في العديد من الدول، الفكرة الأساسية وراء هذا الطرح هي أن أي علاقة جنسية بين الزوج وزوجته، حتى لو تمت برضاها، فهي مبنية على «اضطرار» المرأة للخضوع لسلطة الرجل، وبالتالي فهي شكل من أشكال العنف.

بل إن بعض أبرز النسويات الراديكاليات صرحن علناً بأن «كل علاقة جنسية بين الرجل والمرأة هي اغتصاب بحكم طبيعتها»؛ لأنها -بحسب زعمهن- تقوم على عدم التكافؤ بين الطرفين!

فالنسوية الراديكالية لا ترى في الرجل شريكاً طبيعياً للمرأة، بل تصوره كعدو لها، و«مستعمر» لجسدها وعقلها، حيث تنطلق تلك الفكرة من رؤية فلسفية متطرفة لا تعتبر الذكر والأنثى شريكين في الحياة، بل هناك علاقة قهر قائمة على القوة والسيطرة.. ومن هذا المنطلق، ترى النسويات المتطرفات أن أي علاقة بين الرجل والمرأة -حتى لو كانت في إطار الزواج الشرعي والقانوني- علاقة استعباد واستغلال للمرأة، وطالبن بتحرير المرأة؛ أي أن تتحرر المرأة من العبودية للرجل!

ويلاحظ هنا التناقض في الطرح، فالعلاقة الحميمية بين الزوج وزوجته «قهر واغتصاب واستغلال»، أما إذا عملت المرأة في الدعارة، فهو عمل مأجور، يوازي أي عمل أو وظيفة يقوم بها الإنسان، فلا غبار عليه، المهم أن يكون رضائياً، وألا يتم استغلال المرأة والاستيلاء على المقابل المالي لها!

هذه النظرة المقلوبة التي تضع أي علاقة زوجية في إطار الصراع والاستغلال، تفتح الباب لتفكيك مؤسسة الزواج قانونياً واجتماعياً.

وفي بعض الدول الغربية، بدأ إدخال قوانين تجرّم ما يسمى «الاغتصاب الزوجي»؛ وهو ما أدى إلى حالات طلاق وانهيار أسر بناء على ادعاءات لا يمكن إثباتها بسهولة، لكنها كافية لتدمير علاقة زوجية مستقرة.

النتائج الكارثية للنسوية الراديكالية:

أدى تطبيق أفكار النسوية المتطرفة في بعض المجتمعات الغربية إلى نتائج كارثية، منها

- ارتفاع نسب الطلاق بشكل غير مسبوق.
- انخفاض معدلات الزواج.
- انتشار العلاقات غير الشرعية.
- زيادة أعداد الأطفال غير الشرعيين.
- انتشار الشذوذ الجنسي.

تكريم الإسلام للمرأة وحمايته للأسرة:

لقد أعطت القيم الإسلامية المرأة حقوقها المشروعة، حيث منحها الإسلام حق التملك والإرث، والتعليم، وسمحت لها بالعمل خارج البيت وفق الضوابط الشرعية، وأكد تكريمها كأم وزوجة وابنة، ولم يكن هناك حاجة إلى «ثورة نسوية» في المجتمعات الإسلامية؛ لأن الشريعة الإسلامية ضمنت للمرأة مكانتها دون أن تفرض عليها صراعاً مع الرجل.

.. وحافظ على التوازن بين إعطاء المرأة حقوقها المشروعة وحماية الأسرة من الأفكار التي تسعى إلى تفكيكها

والعلاقة بين الزوجين في الإسلام قائمة على المودة والرحمة، وليس على الصراع والاستغلال، يقول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١).

كما أن الإسلام أكد ضرورة العدل، كما أكد الفهم الصحيح للأدوار الفطرية داخل الأسرة؛ ما يجعل العلاقة الزوجية تكاملية لا صراعية.

من هنا يمكن القول: إن النسوية في الغرب كانت نتاج ظلم حقيقي تعرضت له المرأة، لكن الحركات التي ظهرت لاحقاً حركات مؤدلجة، تتبنى الصراع بدلاً من الإصلاح، وبينما كان الهدف الأساسي تحسين أوضاع النساء، فإن بعض التيارات النسوية اليوم تحولت إلى مشروع لهدم الأسرة واستئصال الرجل من المجتمع، من خلال نشر أفكار مثل «الاغتصاب الزوجي» و«تحرير المرأة من الزواج»، حيث تسعى تلك الحركات إلى خلق مجتمع قائم على الفردية المطلقة؛ ما يؤدي إلى انهيار المنظومة الاجتماعية بالكامل.

وهنا يظهر دور الشريعة الإسلامية في الحفاظ على التوازن بين إعطاء المرأة حقوقها المشروعة، وحماية الأسرة من الأفكار التي تسعى إلى تفكيكها.

فهل حققت النسوية العدالة للمرأة، أم أنها خلقت مشكلات جديدة لم تكن موجودة من قبل؟

إن محاربة هذه الأفكار المنحرفة تبدأ بنشر الوعي حول أخطارها، والتمسك بالمبادئ التي تحفظ استقرار المجتمع؛ لأن الأسرة ليست مؤسسة قمعية، بل أساس أي حضارة سليمة ومتزنة.■

دروس ملهمة للأسرة المسلمة (14)

بين الإيذاء والإغضاء

د. محمد البربري
داعية إسلامي

كلمة ماتعة تحدد ملامح شخصية معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قوله: «لا يبلغ العبد مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله، وصبره شهوته، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم»[1]، فالحليم أرحب الناس صدراً وأطولهم صمتاً وأعمقهم فكراً وأصوبهم رأياً، يعفو في موطن القوة، ويتجاوز وبيده الغلبة، ويحسن رجاء الرأفة والرحمة.

يقول ابن حبان: «الحلم أجمل ما يكون من المقتدر على الانتقام، وهو يشتمل على المعرفة والصبر والأناة والتثبت، ومن يتصف به يكون عظيم الشأن، رفيع المكان، محمود الأجر، مرضيّ الفعل، ومن أجل نفاسته تسمى الله به، فسمى نفسه حليماً»[2].

ولقد كان لمعاوية من الحلم النصيب الأوفى والغاية القصوى والمكانة الفضلى، ساد الناس بالحلم، وقادهم بالعلم، ومن صحب الناس بلسان صادق وعاملهم بحسن الخلائق فقد أرضى المخلوق والخالق.

من الآيات القرآنية المباركة التي تدفع صاحبها إلى التحلي بالحلم والتخلي عن الانتقام والظلم قول الله جل وعلا: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ {٣٤} وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (فصلت)، وعن تفسيرها وبديع ما فيها يقول صاحب «الظلال»: «إن الحسنة لا يستوي أثرها كما لا تستوي قيمتها مع السيئة، والصبر والتسامح والاستعلاء على رغبة النفس في مقابلة الشر بالشر برد النفوس الجامحة إلى الهدوء والثقة فتنقلب من الخصومة إلى الولاء، ومن الجماح إلى اللين.

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾؛ وتصدق هذه القاعدة في الغالبية الغالبة من الحالات، وينقلب الهياج إلى وداعة، والغضب إلى سكينة، والتبجح إلى حياء على كلمة طيبة ونبرة هادئة، وبسمة حانية في وجه هائج غاضب متبجح مفلوت الزمام، غير أن تلك السماحة تحتاج إلى قلب كبير يعطف ويسمح وهو قادر على الإساءة والرد، وهذه القدرة ضرورية لتؤتي السماحة أثرها، حتى لا يصور الإحسان في نفس المسيء ضعفاً، ولئن

الإنسان الفرد هو أساس المجتمع وعماده الأول، ومحور هذا الكون، وأهم لبنة في صرحه الشامخ، وبنيانه السامق، فهو مدني واجتماعي بطبعه، يبدأ حياته بمركب مزدوج؛ أبيه وأمه؛ لذا فالأسرة هي المحضن الأول.

وهو كذلك ابن بيئته وأسرته؛ فهي تؤثر في تكوين سلوكه وأفكاره وقيمه وعاداته ودينه وثقافته ولغته، وهي الأرض الخصبة التي يمكن أن نزرع فيها كل معاني الحب والرحمة والفضيلة في نفوس الناشئة.

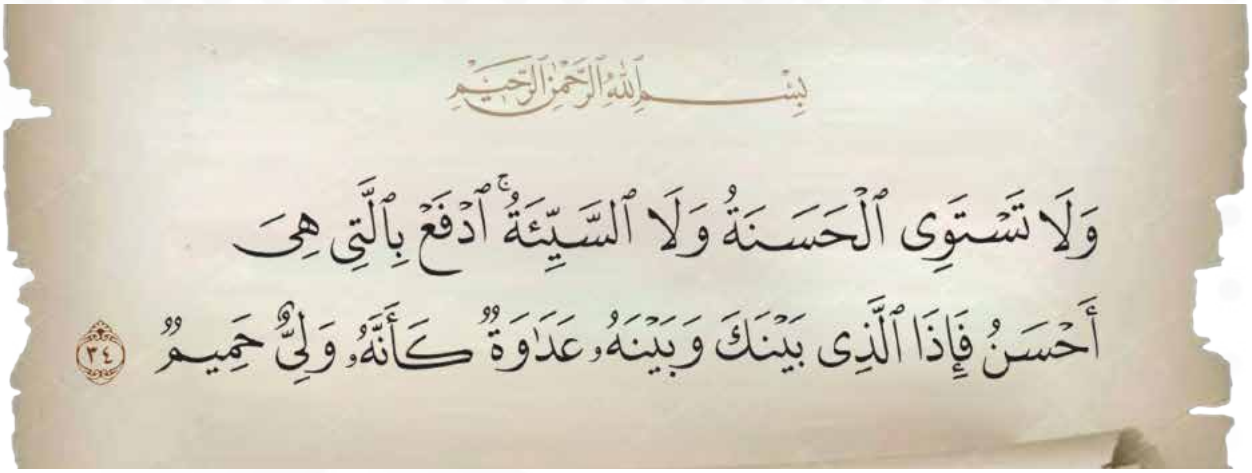

أحس أنه ضعف لم يحترمه، ولم يكن للحسنة أثرها إطلاقاً»[٣]، وهذه القاعدة هي قطب الرحى في حياة معاوية.

إياك وبطشة الأسد!

الحلم والدهاء صفتان كريمتان، وخلّتان عظيمتان تميز بهما معاوية بن أبي سفيان، وسار بذكره الركبان، فقد كان جالساً يوماً فدخل عليه رجل اسمه الجهم، فسأله معاوية: أتراني أكبر منك سناً أم أنت أكبر؟ فقال له الجهم: يا أمير المؤمنين، لقد كنتُ تقدمت لخطبة أمك حينما رأيتها جالسة، وقامت لتدخل في بيت أبيها، فأعجبني ما رأيت من تقاسيمها وعجيزتها، فسبقني إليها أبو سفيان، وسكت.

فقال له معاوية: رحم الله هنداً، لقد كانت تنتقي الرجال، ثم وضع له طعاماً، فلما أكل الرجل قال: يا غلام، عليَّ بأربعين ألفاً، فأخذها وأعطاها للجهم، ثم قال له: خذ هذا المال فتقوَّ به على حياتك، وإياك أن تقترب من الملك، فإن الملك يسرع في الغضب سرعة الأطفال، ويبطش بطشة الأسد، وإياك أن ترجع لمثل هذا، فقبَّل الرجل رأسه وقال: جزاك الله عنا خيراً من أمير، فوالله لقد كنتُ أختبر حِلمك، وقد رأيتك خليقاً بالإمارة.

ونغضبه لنخبر حالته
فنخبر منهما كرماً ولينا
نميل على جوانبه كأنا
نميل إذا نميل على أبينا[٤]

من فقه الكبار أن الوقائع أصدق من إطراء المادح، وغمز القادح، وفي هذه الواقعة عدة دروس تربوية هادفة، منها:

أولاً: هذا سؤال لطيف من معاوية العفيف، وجوابه غليظ عنيف، سلقه الأعرابي بألسنة

الحلم أجمل ما يكون من المقتدر على الانتقام وهو يشتمل على المعرفة والصبر والأناة والتثبت

حداد وعبارات شداد يأنف منها الحاضر والباد، فجاء رد معاوية هادئاً هدوء النسيم، وبلسماً كدواء السقيم؛ «رحم الله هنداً، لقد كانت تنتقي الرجال»، لديه القدرة على الإيذاء والأخذ بالسطوة، لكنه جنح إلى الإغضاء وإنزال الشفقة، وهذا هو الحلم في أحلى تجلياته وأعلى كمالاته.

ثانياً: بذل جزيل العطاء مع شدة الجفاء، وغاية الكرم مع وخز الألم؛ «خذ هذا المال فتقوَّ به على حياتك»، وهذا نهج العظماء وسبيل الكرماء.

ثالثاً: مقام الإمارة عظيم وخيره عميم ويحتاج مع الحلم إلى الحزم، ومع اللين إلى العزم، وكم قلّمت عصا الحزم من أظافر الإجرام والعصيان والزور والبهتان! «وإياك أن ترجع لمثل هذا».

رابعاً: عاقبة الحِلم جميلة، وثمرته جليلة، أذعن له الأعرابي بالفضل، وقبَّل رأسه بالعدل، ولهج بالثناء عليه، وجدد البيعة بين يديه؛ «لقد كنت أختبر حِلمك، وقد رأيتك خليقاً بالإمارة»، ويبقى الحِلم خلق الأقوياء وطريق الأمناء.

قمة الإنصاف

العلَّامة ابن أبي الدنيا ألَّف كتاباً ممتعاً عن حلم معاوية، ذكر فيه نماذج كثيرة عن حلمه مع محبيه ومخالفيه، مادحيه وقادحيه، أما الإمام الحافظ الذهبي فقال كلمة عن معاوية غاية في الإنصاف والتجرد، أشاد فيها بحلمه وعلمه، علها تكون للناس نبراساً منيراً وطريقاً قويماً.

كان لمعاوية من الحلم النصيب الأوفى والغاية القصوى والمكانة الفضلى ساد الناس بالحلم وقادهم بالعلم

قال: «حسبك بمن يؤمره عمر ثم عثمان على إقليم وهو ثغر فيضبطه ويقوم به أتم قيام، ويرضي الناس بسخائه وحلمه، وإن كان بعضهم تألم مرة منه، وكذلك فليكن الملك، وإن كان غيره من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً منه بكثير وأفضل وأصلح، فهذا الرجل ساد وساس العالم بكمال عقله، وفرط حلمه، وسعة نفسه، وقوة دهائه ورأيه، وله هنات وأمور والله الموعد، وكان محبباً إلى رعيته، عمل نيابة الشام عشرين سنة، والخلافة عشرين سنة، ولم يهجه أحد في دولته، بل دانت له الأمم، وحكم على العرب والعجم[٥].

وإنك لتعجب من حكمته وقدرته على استيعاب الخصوم وتصحيح مفاهيمهم المغلوطة وإبطال دعاويهم الفاسدة التي تدعو إلى الفتنة وتفكيك الصف وتمزيق الوحدة، وهذا ما امتاز به معاوية؛ اتبع الحزم، واتبع الحلم.

ورحم الله أمه التي رأت فيه من الطفولة مخايل النجابة ومؤهلات الريادة! ■

الهوامش

(١) الإحياء (٣/ ١٧٨).
(٢) روضة العقلاء، ص ٣٠٨.
(٣) في ظلال القرآن (٥/ ٣١٢٢).
(٤) العقد الفريد (١/ ٥٠).
(٥) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٣٢).

وما يزال التحقيق مستمراً!

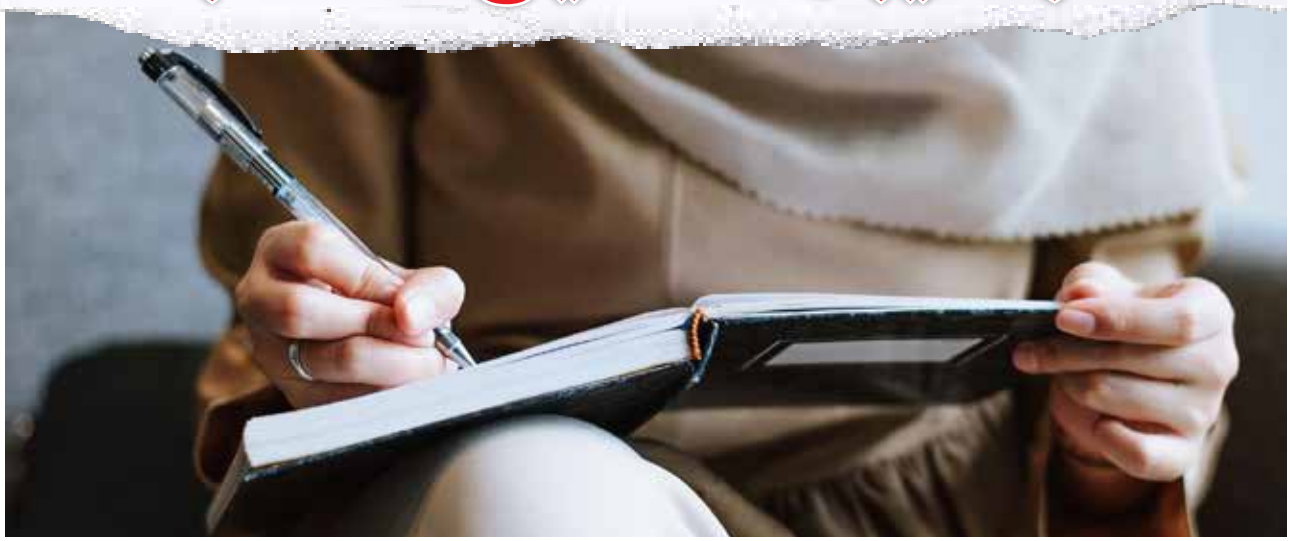

د. يحيى عثمان
استشاري تربوي وعلاقات أسرية
مستشار البحوث بمجلس الوزراء سابقاً
y3thman1@hotmail.com

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته د. يحيى، تحية تقدير لمجلتكم الموقرة وشخصكم الكريم، وجزى مجلة «المجتمع» خيراً.

بدأت مأساتي بعد تخرجي في الجامعة، تقدم لي ابن الجيران، وكم كانت فرحتي لأنني كنت أرمقه خلسة؛ لأنه كان نموذجاً للشاب المهذب المتفوق، ناهيك عن أسرته الثرية، هو الابن الوحيد لوالديه مع أربع أخوات؛ لذا أقمنا مع أسرته، زوجي يعمل مع والده، ولكنه تولى كل شؤون الأسرة عندما ساءت صحة والده، ورغم أن زوجي دمث الخلق وبه كل الصفات كزوج ما تتمناه أي زوجة، فإنني عانيت الكثير من أسرته، وهو للأسف كان يرفض التدخل لوقف إهانتهم وإيذائهم لي، قررت الطلاق رغم حبي زوجي لي وحبي له، واعتذر لي متعللاً بصلة رحمه، وكان كريماً معي كعهدي به.

عدت لبيت أهلي مطلقة مكسورة، ودارت الأيام وتقدم لي البعض، لكن أخيراً وجدت ما كنت أعتقده أنه الرجل المناسب، أنا كنت في بداية العقد الرابع، وهو في منتصف العقد الخامس، مهندس كمبيوتر، لم يسبق له الزواج، دقيق جداً في كل أمور حياته وكأنها لوحة مفاتيح كمبيوتر! يهتم بدقائق الأمور جداً، ولعل هذا هو سبب تأخر زواجه، أيضاً هو إنسان مهذب كريم مثقف دقيق ملتزم يعتني بنفسه وبمن حوله جداً، ذكي وكثير الأسئلة، كل الأحداث لديه تحت التحليل والاستنتاج بصورة ترهق المتعاملين معه، لكنه أيضاً لطيف مرح.

في فترة الخطوبة سألني عن تجربة زواجي، وكنت معتقدة أن حقَّ مَن يتزوجني أن يعرف عني كل شيء فأجبته، ولكن كل إجابة كانت تثير لديه عدة تساؤلات، تناولت أسئلته كل فترة حياتي منذ طفولتي ومع من كنت ألعب وكيف؟ ورغم ضيقي من طبيعة الأسئلة، فإنني اعتبرت هذا اهتماماً بي وحقاً له، ولم يكن لديَّ ما أخجل منه حتى أخفيه، كنت أُمنِّي نفسي بأن فترة الخطبة للتعارف وبعد ذلك سيغلق موضع جلسات التحقيق معي حول ماضيّ.

تزوجنا، وللأسف زادت جلسات التحقيق، وتناولت أدق حياتي الزوجية السابقة! وقد يوقظني ليلاً لأنه أصابه أرق وألحّ عليه سؤال، أو يتصل بي من مكتبة ليسألني أو للتأكد من إجابة عن سؤال أمس، لو طلبت زيارة أهلي وهو يعلم أن طليقي جارنا، أخضع لمتاهة من الاستجوابات بكل أدوات الاستفهام، وتخضع إجاباتي لتحليلات واستنتاجات يعجز عنها الذكاء الاصطناعي!

أفهمته عدة مرات أنني غير سعيدة، وأنه رغم ما به من ميزات، فإنه يدمر كل لحظة جميلة في حياتنا بنفس الأسئلة ونفس الإجابات التي ينتج عنها أسئلة، لعل المشكلة الأكثر تعقيداً أنه عادة ما ينهي المناقشة بعقد مقارنة بينه وبين طليقي، ويسألني أيهما الأفضل في كل مناحي حياتنا الزوجية؟ ما يوقعني في حرج شديد وأضطر أن أكذب!

مر على زواجنا حوالي عام، والحمد لله لم أحمل بعد، حال كل منا والحمد لله كلانا بخير، فكرة الانفصال تلح عليَّ جداً قبل أن أحمل وأضطر للاستمرار، بماذا تنصحني؟

فهمك الخاطئ للصراحة جعله يتمادى ولا ينقطع عن مواصلة الاستفسار ما أدى إلى توليد الشكوك

الحياة الخاصة لكل من الزوجين ملك له ولا يحق الاستفسار عنها.. وكل زوج مؤتمن على الحياة الزوجية

إرجاء الحمل إلى أن يشفى زوجك وتستعيدي توازنك وتسقر الحياة بينكما مع الاستعانة بالله

التحليل:

رسالة إلى كل زوج وزوجة:

الحياة الخاصة لكل من الزوجين ملك له، ولا يحق لأي منهما الاستفسار عنها، فمثلاً لا يحق للزوج الاستفسار عن كيف قضيت مراهقتي أو خلافي مع أخي، كل زوج مؤتمن على الحياة الزوجية التي جمعته مع زوجه بكل أبعادها وما كان فيها، ولا أقصد فقط العلاقة الخاصة، بل وأؤكد كل الحياة الزوجية؛ كرمه، خُلقه، سلوكه.. أو سبب طلاق زوجه، كل شيء صندوق أسود، من المعلوم من الدين بالضرورة أن الزوج الذي يفشي أسرار زوجه يأثم شرعاً -إلا في حالة الإصلاح، وبقدر ما تقتضيه الشكوى بغرض العلاج يقول الله عز وجل: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (النساء: ٢١)- فما بالنا وقد أصبح بعد الطلاق أو الوفاة غريباً عنه؟!

طبعاً، هناك فرق بين التعرف على سمات الشخصية ونمطها حتى يقيم كل من الخاطبين مدى توافق بينه وبين من يريد الزواج به، وأن يتحول هذا التعارف الى جلسات تحقيق قد تثير الشكوك والاتهام.

تقول كاتبة الرسالة: «وهو للأسف كان يرفض التدخل لوقف إهانتهم وإيذائهم لي»، من حقوق الزوجة على زوجها حمايتها من أي أذى قد يصيبها، وهذا من متطلبات قوامته، وإن مات في سبيل الدفاع عنها فهو شهيد، إن الخلط وعدم الفهم لفرض بر الوالدين قد يدفع الزوج إلى ظلمها أو عدم حمايتها من أذى الوالدين أو الإخوة، وهذا حرام، بل إن من البر بالوالدين كف أذاهما عن الآخرين وليس الزوجة فقط، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: «تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ» (رواه البخاري، ٢٤٤٤)، طبعاً لا أقصد أن يرد إهانتهما، ولكن بكل الحب والتذلل وبيان شرع الله، وإن لم يتوقفا فعليه الانفصال بزوجته في حياة خاصة بها، وهذا حقها حتى ولو كانا يعاملان زوجته أفضل معاملة، إن خدمة الزوج لوالديه فرض عليه، ولكنه فضل من زوجته.

تقول كاتبة الرسالة: «عدت لبيت أهلي مطلقة مكسورة»؛ يمر المسلم بالعديد من الابتلاءات سواء أكانت بالعطاء أو بالمنع، فالزواج فتنة كما أن الطلاق فتنة؛ أي اختبار، ليقيم الله علينا الحجة وهو أعلم بما كيف سنتعامل مع ابتلائه لنا، لذا على المسلم أن يحمد الله على كل أحواله، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا لَهُ، وإِنْ أَصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له» (رواه مسلم، ٢٩٩٩)؛ لذا يجب على المسلم أن يحمد الله ويصبر صبراً جميلاً ويراجع تصرفاته ويتعلم منها، وينطلق في آفاق الحياة وقد ثقلت التجربة مهاراته ونمت معارفه وقدراته.

وإلى كاتبة الرسالة:

لقد شاركت زوجك مأساتكما، باعتقادك الخاطئ أن الصراحة والشفافية وهي ضرورية بين الخطيبين لبناء الثقة وحتى يتبين لكل منهما مدى كفاءة ومواءمة الآخر له، ولكن فهمك الخاطئ لمعنى الصراحة والشفافية بأن أُطلع خطيبي على كل حياتي السابقة جعله يتمادى ولا ينقطع شغفه عن مواصلة الاستفسار، أدى ذلك إلى توليد الشكوك فتزداد الاستفسارات فتزداد الشكوك وهكذا دائرة شيطانية لا تنتهي، وأصبح يعيش معك في ماضيك، ويقارن نفسه بزوجك السابق ويحاول أن يستفسر أكثر ليثبت لنفسه أنه الأفضل.

المهم، زوجك مصاب بمرض الوسواس القهري، ويجب عليكما زيارة طبيب نفسي معاً، وأنت جزء من علاجه، وستكون هناك بعض الجلسات المشتركة بالإضافة إلى الدواء، قد يستغرق العلاج من ٣ - ٦ أشهر، ثم يجب الاستعانة باختصاصي تعديل سلوك «علاقات زوجية».

كما أرى إرجاء الحمل إلى أن يشفى زوجك وتستعيدي أنت توازنك وتسقر الحياة بينكما. ■

الفلكي الصغير.. يرصد هلال رمضان

سيناريو: أمين حميد
رســوم: عصام الشرقاوي

في ليلة من ليالي آخر شعبان غاب فيها القمر عن السماء وازدحمت فيها النجوم وكان الجو صافيًا بحيث تكاد تكون فيها الكواكب أقمارًا

صعد عمر بمقرابه (بمنظاره) الصغير إلى سطح المنزل ليمارس هوايته في النظر في السماء والتطلع إلى خلق الله العجيب في النجوم والكواكب.. ولم يكد يفتح الباب حتى سمع لوالده نشيجًا يقطِّع دعاءه وهو جاث على ركبتيه فوق سجادته في ظلمة الليل يناجي ربه أن يبلغه رمضان..

تسمر عمر عند عتبة الباب، إذ لم يرد أن يقطع على والده هذه الخلوة، ولم يشأ أن يفقد سريعًا هذه اللحظة غير المعتادة في حياة والده.. فوالده كثيرًا ما يصعد في الليل إلى السطح ويقضي فيه بعض الوقت.. لكن عمر لم يكن يعلم ماذا يصنع والده في تلك الأوقات.. حيث غالبًا ما تغلبه لذة النوم عن مرافقة والده في تلك الأوقات من الليل..

استرسل الوالد في دعائه حتى سمع صوت حركة خفيفة عند باب السطح، التفت فإذا هو عمر ممسكًا بمقرابه الصغير.. فمسح الدموع عن عينيه وخديه ثم طلب من عمر أن يقترب منه..

اقترب عمر من والده وقبل رأسه فقبله والده وضمه إلى صدره، ودعا له ولأهله جميعًا بما دعا به لنفسه.. ثم سأل "عمر":

- ما أصعدك في هذا الوقت يا عمر؟

- عمر: أردت أن أتأمل في صفحة السماء الصافية وأنظر في النجوم والكواكب، لأني

سمعت أستاذنا في حلقة القرآن يشرح لنا أواخر سورة آل عمران، فوقف مطولًا عند قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ {١٩٠} الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران).

وحثنا على التأمل العميق في خلق الله سبحانه وتعالى المبثوث في السموات والأرض، حتى نكون من المؤمنين أولي الألباب..

قال الوالد: مادام الأمر كذلك فما رأيك يا عمر بعد الغد سيكون ٢٩ شعبان أن نخرج معًا إلى الصحراء لرصد هلال رمضان؟

قال عمر: أحسنت يا أبي.. وأرى قبل أن نتوجه لرصد هلال رمضان أن تجمعنا غدًا كلنا أمي وأنا وإخوتي ونضع لنا برنامجًا لرمضان، حتى لا يفوت علينا خيره الكثير، فهو كما قال الله تعالى ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ (البقرة:١٨٤).

قال الوالد: ما أجمل هذا المقترح.. نتهيأ له من الساعة بالبحث عن الآيات والأحاديث والأحكام المتعلقة برمضان والصيام وكل العبادات التي كان نبينا صلى الله عليه وسلم يكثر منها في رمضان.

قال عمر: أرى أن يكون عنوان جلستنا غدًا هي حديث رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم:

"مَن صامَ رَمَضانَ إيمانًا واحْتِسابًا غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِه، ومَن قامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إيمانًا واحْتِسابًا غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِه" (متفق عليه).

وأيضًا حديثه صلى الله عليه وسلم: " ن قَامَ رَمَضَانَ إيمَانًا واحْتِسَابًا، غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِه (متفق عليه).■

شهر القيام والقرآن والزاد الإيماني

د. يوسف السند
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت

شهر الصيام والقيام والقرآن، شهر العبادة والتقوى والصدقة والإحسان؛ «إذا دَخَلَ رمضانُ فُتِّحَتْ أبوابُ الرحمة، وغُلِّقَتْ أبوابُ جهنَّمَ، وسُلسلَت الشياطَينُ» (صحيح)، فلنغترف بملء أيدينا وأوقاتنا من هذا المعين الإيماني الذي لا ينضب ولا ينفد؛ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾ (الإسراء: ٧٩)؛ قال علماء اللغة: الهجود هو النوم، والتهجد ترك النوم بسبب الاشتغال بالصلاة، والمعنى: ومن الليل فتهجد بالصلاة المشتملة على القرآن الكريم، وعلى هذا تكون صيغة التهجد من صيغ السلب، كالتأثُّم بمعنى ترك الإثم، والتحرُّج وهو البعد عن الحرج، وهكذا، ومعنى «نافلة لك»؛ أي: عبادة زائدة لك على بقية فرائض الصلوات.

وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «من كل الليل قد أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ من أول الليل وأوسطه وآخره، فانتهى وتره إلى السحر»، وقال صلى الله عليه وسلم: «مَن قَامَ رَمَضَانَ إيمَاناً واحْتِسَاباً، غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِه» (رواه البخاري)، وقال: «مَن صَامَ رَمَضَانَ إيماناً واحْتِساباً غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِه، ومَن قامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إيماناً واحْتِساباً غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِه» (رواه البخاري).

وفي قيام الليل تحلو مناجاة الله تعالى، فتصعد الشكوى وتُبَثُّ البلوى لعالِم السر والنجوى، ويكون الله تعالى أقرب إلى عبده في الثلث الأخير من الليل، ويكون العبد أقرب إلى الله تعالى وهو ساجد؛ فعن عمرو بن عنبسة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أقرب ما يكون الرب عز وجل من العبد في جوف الليل، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن» (رواه أبو داود، والترمذي واللفظ له، وقال: حديث حسن صحيح).

الله تعالى الجليل الكبير المتعال ينادي عباده في الثلث الأخير من الليل؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له» (رواه البخاري، ومالك، ومسلم، والترمذي، وغيرهم).

إنها ساعات القرب من المولى سبحانه وتعالى؛ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ (البقرة: ١٨٦)؛ أروع كلمات قالها الإمام الشافعي يرحمه الله في مناجاته مع الله:

كم جئت بابك سائلاً فأجبتني
من قبل حتى أن يقول لساني
واليوم جئتك تائباً مستغفراً
شيءٌ بقلبي للهدى ناداني
عيناي لو تبكي بقية عمرها
لاحتجت بعد العمر عمراً ثاني
إن لم أكن للعفو أهلاً خالقي
فأنت أهل العفو والغفران
روحي لنورك يا إلهي قد هفت
وتشققت عطشاً لهُ أركاني
فاقبل بفضلك توبة القلب الذي
قد جاء هرباً من دجى العصيان
واجعله في وجه الخطايا ثابتاً
صلباً قوياً ثابت الإيمان

وأعظم مناجاة دعاء رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أنَّه كان إذَا قَامَ من الليل يتهجد، قائلاً: «اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ الحَقُّ وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» (أخرجه البخاري).

قيام الليل طريق آمن واضح إلى الجنة؛ قال صلى الله عليه وسلم: «أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام» (رواه الترمذي)، وهو جهدٌ وجهاد ورباط لا يتحمله إلا الرجال الأقوياء العظام، قالت عائشة رضي الله عنها: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت له: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً» (متفق عليه)، وقال صلى الله عليه وسلم: «عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وإن قيام الليل قربة إلى الله ومنهاة عن الإثم وتكفير للسيئات ومطردة للداء عن الجسد» (رواه الترمذي).

فلنحرص على قيام الليل في رمضان وسائر العام، ولنذكر إخواننا المجاهدين والمرابطين والمحاصرين والأسرى والمسجونين المعتقلين والفقراء المساكين واللاجئين النازحين والمتغربين طالبي الرزق في أقطار الدنيا، ولنذكر في قيامنا العلماء والدعاة والخطباء وطلبة العلم، وكل ما نريده لأهلينا وذوينا فلندع به للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

والحمد لله رب العالمين.■

مبرّة الآل والأصحاب

مسيرة ٢٠ عاماً

في نشر تراث الآل والأصحاب وتطويق الطائفية

انطلاقاً من تأكيد المفاهيم الوسطية في فهم تراث الآل والأصحاب

أحدث الإصدارات

يمكنكم الآن دعم المبرة من زكاتكم (تجوز الزكاة) وصدقاتكم من خلال التبرع الإلكتروني

عن طريق تطبيق KFHOnline (بيت التمويل الكويتي)

الخطوات :

١- من قائمة خدمات : اختيار تحويلات مالية

٢- اختيار تبرعات لجان خيرية

٣- اختيار مبرة الآل والأصحاب الخيرية

almabarrah www.almabarrah.net E-mail: almabarrh@gmail.com

نمـــاء الخيريـــة
NAMAA CHARITY
جمعية الإصلاح الاجتماعي

10 أبواب للخير

بتبرعك تساهم بـ 10 مشاريع متنوعة

مشروع فرج كربة	الأسر المتعففة	كفالة طالب مدرسي	إطعام الطعام	كفالة يتيـم
كسوة اليتيم	سقيا الماء	علاج مرضى الروماتويد	علاج مرضى السرطان	مشروع مرضى ms

لايطوفك الخير

1888833

ج/ت ب د/5 /2025-ج/ت ب د/1-2025-يمنع الجمع النقدي